جامعة الأزهر

كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

# فضائل الصحابة وحقوقهم
# في ضوء سورة الحشر

## دراسة تحليلية

# تأليف

**الدكتور / سعد عبد المجيد المتولي**

**أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد**

**بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة**

**١٤٣٧ هـ- ٢٠١٦ م**

# مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، أنزل كتابه المبين ، هدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا ومولانا محمد خير خلق الله أجمعين ، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين ، وعلماء الأمة الهداة العاملين والسالكين طريقهم إلى يوم الدين .

وبعد ...

فإن للصحابة رضوان الله عليهم صفاتٍ وحقوقاً وواجبات ، ومن يطالع القرآن الكريم يجد أن سورة الحشر بينت له من ذلك أتم بيان .

ومن ثم فقط طابت نفسي للعيش في ظلال هذه الآيات المباركة من السورة الكريمة ، وكان اختيار هذه الآيات لجعلها بحثاً بعنوان : " فضائل الصحابة وحقوقهم في ضوء سورة الحشر دراسة تحليلية " .

واتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي للآيات القرآنية موضوع البحث ، وقد توخيت فيه التوسط ، بين التطويل الممل ، والتقصير المخل ، واستقيته من عيون المراجع التفسيرية وغيرها القديمة والحديثة ، مع شرح المفردات ، وتوجيه العبارات واستخراج ما في الآيات من عبر وهدايات .

هذا ، ويتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث .

**المقدمة : تشتمل على أسباب اختيار الموضوع وخطة البحث فيه .**

**التمهيد : " التعريف بسورة الحشر " .**

**المبحث الأول : فضائل المهاجرين في ضوء السورة الكريمة .**

**المبحث الثاني : فضائل الأنصار في ضوء السورة الكريمة .**

**المبحث الثالث : حقوق الصحابة وواجبنا نحوهم في ضوء السورة الكريمة .**

**الخاتمة : تشتمل على أهم النتائج ، وذيلت البحث بالفهارس .**

**والله أسأل أن يبارك هذا العمل ، وينفع به طلاب العلم والمسلمين ، وأن يجعله لي ولوالدي ولمن قرأه زخراً إلى يوم الدين ، اللهم آمين .**

# تمهيد

## التعريف بسورة الحشر

**( ١ ) وضع السورة في المصحف الشريف :**

**سورة الحشر هي السورة التاسعة والخمسون في ترتيب المصحف الشريف ، فقد سبقها من سور القرآن الكريم ثمانٍ وخمسون سورة تبدأ بـ ( فاتحة الكتاب ) وتنتهي بسورة ( المجادلة ) وبقي بعدها من سور القرآن الكريم خمس وخمسون سورة تبدأ بسورة ( الممتحنة ) وتنتهي بسورة ( الناس ) .**

**( ٢ ) ترتيبها في النزول :**

**نزلت سورة الحشر بعد سورة البينة وقبل سورة النصر ، ورقمها في ترتيبها في النزول الثامنة والتسعون ، وكان نزولها عقب إخراج بني النضير من بلادهم سنة أربعٍ من الهجرة [١] ، ووضعت بين سورة ( المجادلة ) وسورة ( الممتحنة ) بأمرٍ من الله ﷻ وتوقيف ، وهذا هو المشهور عند العلماء من أن ترتيب السور ترتيب توقيفي .**

**( ٣ ) اسمها والسر في التسمية بهذا الاسم :**

**من المتفق عليه أن أسماء السور توقيفية ، أي : تتوقف على نقلها عن النبي ﷺ ولا دخل لأحد من الخلق في تسميتها ، لأن الذي سماها باسمها هو الله تعالى .**

**۞ اشتهرت تسمية هذه السورة ( سورة الحشر ) وبهذا الاسم دعاها النبي ﷺ روى الإمام الترمذي بسنده عن معقل بن يسار قال :**

---

(١) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٨ / ٦٣ ط دار سحنون .

**قال رسول الله ﷺ : ﴿ مَنْ قالَ حِين يُصْبح ثَلاث مَرّات : أعُوذ بِاللّهِ السّمِيع الْعَلِيم مِنْ الشّيْطان الرّجِيم ثُمّ قرَأ ثَلاث آيَات مِنْ آخِر سُورَة الْحَشْر وَكّلَ اللّه بِهِ سَبْعِينَ أَلْف مَلَك يُصَلّونَ عَلَيْهِ حَتّى يُمْسِي وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْم مَاتَ شَهِيدًا وَمَنْ قالَهَا حِين يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَة ﴾ [1] .**

**❁ وعنون لها الإمام البخاري في كتاب التفسير باسم ( الحشر ) [2] .**

**❁ وتسمى أيضًا سورة ( بني النضير ) ، أخرج الإمام البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما : سورة الحشر ، قال : قل : سورة النّضير [3] أي : سورة بني النضير .**

**قال ابن حجر معلقًا على قول ابن عباس : " كأنّه كره تسميتها بالحشر لئلا يظنّ أنّ المراد يوم القيامة وإنّما المراد به هنا إخراج بني النّضير " [4] .**

**وضعف ابن عاشور تأويل ابن حجر بقوله : ( وهذا تأويل بعيد ، وأحسن من هذا أن ابن عباسٍ أراد أن لها اسمين ، وأن الأمر في قوله : قل ، للتخيير ) [5] .**

---

(١) سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح لمحمد بن عيسى بن أبي عيسى الترمذي السلمي ، كتاب : فضائل القرآن ، باب ( ٢٣ ) كيف كان قراءة النبي صلى الله عليه وسلم . ٥ / ١٨٢ ح رقم ( ٢٩٢٢ ) وعلق عليه الإمام الترمذي بقوله : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . ط دار إحياء التراث العربي .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير / سورة الحشر ٣ / ٦ / ٥٨ ط مكتبة الرياض الحديثة .
(٣) المرجع السابق ، كتاب التفسير / سورة الحشر ٣ / ٦ / ٥٨ .
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٨ / ٤٩٧ ط دار الريان .
(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٢٦ .

❁ وللسورة القرآنية اسم واحد توقيفي ، وقد يكون لها اسمان أو أكثر كسورة الفاتحة ، وسورة البقرة ، وقد يسمي بعض الصحابة أو التابعين رحمهم الله سورًا بأسماء أخرى ، ولا شك أن هذه الأسماء صفات للسورة التي قالوها نتيجة قراءتهم وفهمهم لها وليست أسماء توقيفية .

❁ ووجه تسميتها ( سورة الحشر ) ذكر لفظ ( الحشر ) فيها في قول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ ﴾ (١) .

❁ وأما وجه تسميتها ( سورة بني النضير ) فذكر قصة بني النضير فيها ، ومفاد هذه القصة : أن رسول الله ﷺ كان عاهد بني النضير على سلم وهو يرون أنه لا ترد له راية ، فلما جرت هزيمة أحد ارتابوا وحالفوا قريشًا وغدروا ، فلما رجع النبي ﷺ من أحد تبين له معتقد بني النضير وغدرهم بعهده وموالاتهم للكفرة فجمع إليهم وحاصرهم وعاهدهم على أن يجليهم عن أرضهم فارتحلوا إلى بلاد مختلفة خيبر والشام وغير ذلك من البلاد (٢) .

( ٤ ) عدد آي السورة الكريمة ، وكلماتها ، وحروفها :

عدد آياتها : أربع وعشرون آية (٣) ، وليس فيها خلاف لأحد ، وعدد كلماتها : أربعمائة وخمس وخمسون كلمة ، وعدد حروفها ألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفًا (٤) .

---

(١) سورة الحشر آية ( ٢ ) .
(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٥ / ٢٥٦ ط دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت .
(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي المشهور بالبناء صـ ٤١٣ ط عبد الحميد أحمد حنفي .
(٤) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بالخازن ، ٤ / ٢٦٦ ط دار الكتب العلمية .

**( ٥ ) زمان نزول السورة الكريمة :**

**هذه السورة مدنية بالاتفاق وبلا خلاف [١] ، ويشهد لذلك حديث السورة الكريمة حيث نزلت في بني النضير ، ولذا سماها ابن عباس رضي الله عنهما كما علمت عن كثب سورة النضير ، ويدل على ذلك أيضًا ما أخرجه الإمام البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال : " قلت لابن عباسٍ : سورة التوبة ، قال : التوبة هي الفاضحة ما زالت تنْزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحدًا منهم إلا ذكر فيها ، قال : قلت سورة الأنفال ، قال : نزلت في بدر ، قال : قلت : سورة الحشر ، قال : قل سورة النضير " [٢] .**

**( ٦ ) السورة الكريمة بين الإحكام والنسخ : سورة الحشر محكمة خالية من الناسخ والمنسوخ [٣] .**

**( ٧ ) مناسبة السورة لما قبلها :**

**لسور القرآن فيما بينها ألوان من التناسب ، اقتضت أن يجيء ترتيبها على النحو الذي جاءت عليه في المصحف الذي بين أيدينا ، كما أن الآيات في كل سورة على حدة كذلك ، وقد اجتهد بعض المفسرين في توضيح هذه الألوان ، التي تعد من علامات الإعجاز البياني في هذا الكتاب العظيم .**

---

(١) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي تحقيق مركز الدراسات القرآنية ١ / ٥٢ ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم لأبي الفضل محمود الألوسي ٢٨ / ٣٨ ط دار إحياء التراث العربي ، مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ١ / ١٩٨ ط دار إحياء الكتب العربية .
(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الحشر ٣ / ٦ / ٥٨ .
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تأليف / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي تحقيق محمد علي النجار ١ / ٤٥٨ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

**هذا ؛ وترتبط سورة الحشر بسورة المجادلة ارتباطًا وثيقًا ، وذلك أن هناك نوعين من الربط بين السورتين الكريمتين ، الربط المباشر والربط السياقي .**

**❁ الربط المباشر بين السورتين : وهو ارتباط أول سورة الحشر بآخر سورة المجادلة وذلك من وجهين :**

**( ١ ) لما ختمت سورة ( المجادلة ) بأن الله تعالى معز أهل طاعته ، ومذل أهل معصيته ومحادته ، علله بتنزهه عن النقائص تأييدًا للوعد بنصرهم فقال : ﴿سَبَّحَ﴾ أي : أوقع التنزيه الأعظم عن كل شائبة نقص ﴿لِلَّهِ﴾ الذي أحاط بجميع صفات الكمال [١] .**

**( ٢ ) أن آخر سورة المجادلة نزل فيمن قتل أقرباءه من الصحابة يوم بدر ، وأول الحشر نازل في غزوة بني النضير وهي عقبها [٢] .**

**❁ الربط السياقي بين السورتين : وذلك من وجوه :**

**( ١ ) أن كلا من السورتين مدنيتان ومشتملتان على أحكام ، فسورة المجادلة ذكرت حكم كفارة الظهار ، وفي سورة الحشر جاء بيان حكم الفيء والغنيمة .**

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي ٧ / ٥٠٩ ط دار الكتب العلمية .

(٢) أسرار ترتيب القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي تحقيق عبد القادر أحمد عطا صـ ١٣٦ ط دار الاعتصام بالقاهرة .

( ٢ ) أن سورة المجادلة ذُكر فيها ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [١] ، وفي سورة الحشر قال : ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [٢] . [٣]

( ٣ ) أن سورة المجادلة ذُكر فيها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [٤] ، وفي سورة الحشر ذكر من يشاق الله ورسوله في قوله : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [٥] . [٦]

( ٤ ) أن في سورة ( المجادلة ) ذكر المنافقين واليهود وتولي بعضهم بعضًا ، وفي سورة الحشر ذكر ما حلَّ باليهود وعدم إغناء تولي المنافقين إياهم شيئًا [٧] .

( ٨ ) أهم الموضوعات التي اشتملت عليها السورة الكريمة :

من يتدبر السورة الكريمة يراها قد اشتملت على موضوعات كثيرة حيث ابتدأت السورة الكريمة بتنْزيه الله وتمجيده ، فالكون كله بما فيه من إنسان ، وحيوان ، ونبات ، وجماد شاهد بوحدانية الله

---

(١) سورة المجادلة آية ( ٢١ ) .
(٢) سورة الحشر آية ( ٢ ) .
(٣) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي صـ ١٣٦ .
(٤) سورة المجادلة آية ( ٢٠ ) .
(٥) سورة الحشر آية ( ٤ ) .
(٦) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي صـ ١٣٦ - بتصرف يسير - .
(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الألوسي ٢٨ / ٣٨ ط دار إحياء التراث العربي .

وقدرته وجلاله ، ناطقة بعظمته وسلطانه فإنه الغالب المدبر ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

❁ ثم ذكرت بعض آثار قدرته ، ومظاهر عزته ، على ما يسر من إجلاء بني النضير مع ما كانوا عليه من المنعة والحصون والعُدَّة ، وكانوا يعتقدون أنهم في عزة ومنعة لا يستطيع أحد عليهم ، فجاءهم بأس الله وعذابه من حيث لم يكن حسابهم ، وتلك آية من آيات تأييد رسول الله ﷺ وغلبته على أعدائه [1] ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ( ٢ ) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ( ٣ ) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ( ٤ ) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ سورة الحشر الآيات : ( ٢ - ٥ ) .

❁ ثم تناولت السورة موضوع الفيء والغنيمة ، فبينت شروطه وأحكامه ، ووضحت الحكمة من تخصيص الفيء بالفقراء ، لئلا يستأثر به الأغنياء ، وليكون هناك بعض التعادل بين طبقات المجتمع ، بما فيه خير الفريقين ، وبما تحقق المصلحة ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ

---

(١) التحرير والتنوير ٢٨ / ٦٣ بتصرف يسير .

ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ سورة الحشر آية : ٧ .

❁ وتناولت السورة أصحاب رسول الله ﷺ وبينت مناقبهم بالثناء العاطر ، فنوَّهت بفضائل المهاجرين ومآثر الأنصار ، فالمهاجرون هجروا الديار والأوطان حبًا في الله ، والأنصار نصروا دين الله ، وآثروا إخوانهم - المهاجرين - بالأموال والديار على أنفسهم مع فقرهم وحاجتهم ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ( ٠ ) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ( ٠ ) وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ سورة الحشر الآيات : ( ٨ - ١٠ ) .

❁ وفي مقابلة ذكر المهاجرين والأنصار ، ذكرت السورة المنافقين الأشرار ، الذين تحالفوا مع اليهود ضد الإسلام ، وضربت لهم أسوأ الأمثال ، فمثلتهم بالشيطان الذي يُغري الإنسان بالكفر والضلال ثم يتخلى عنه ويخذله ، وهكذا كان شأن المنافقين مع إخوانهم اليهود ﴿

❁ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ

﴿ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [1] سورة الحشر الآيات : ( ١١ - ١٧ ) .

❁ ثم وجه الله خطابًا للمؤمنين بالأمر بالتقوى والحذر من أحوال أصحاب النار والتذكير بتفاوت حال الفريقين ، ثم نوهت بعظمة القرآن وجلالته واقتضائه خشوع أهله ، ومثلت ذلك إيماء إلى حكمة شرائع انتقال الأموال بين المسلمين بالوجوه التي نظمها الإسلام بحيث لا تشق على أصحاب الأموال ، والأمر باتباع ما يشرعه الله على لسان رسوله ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ سورة الحشر الآيات : ( ١٨ - ٢١ ) .

❁ وختمت السورة بصفات عظيمة من صفات الإلهية وتنْزيهه عن صفات النقص تزكيةً لحال المؤمنين وتعريضًا بالكافرين ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [2] سورة الحشر الآيات : ( ٢٢ - ٢٤ ) .

❁❁❁ فابتدأت السورة وختمت بتمجيد الله وتنْزيهه عن النقائص وهكذا يتناسق البدء مع الختام ، وهو ما يُعرف في علم المناسبات بمناسبة المطلع للمقطع .

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣ / ٣٤٦ وما بعدها ط دار القرآن الكريم - بيروت .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢٨ / ٦٣ - ٦٤ .

**( ٩ ) الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة :**

**الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية ، أو الوحدة الفكرية ، أو الوحدة العضوية ، أو وحدة الهدف ، أو ما إلى ذلك من هذه العبارات التي تختلف في ألفاظها ومبانيها ، وتتفق في مدلولاتها ، موضوع يعتبر امتداداً لموضوع تناسب الآيات في السورة القرآنية ، فإن التناسب بين الآيات حين يمتد من أول السورة إلى آخر آيةٍ فيها ، يؤول أمره في النهاية إلى وحدة الهدف والفكرة ، وترابط المعاني بعضها ببعض ترابطًا يجعل من السورة الكريمة كلها وحدة واحدة وموضوعاً كلياً واحداً [١] .**

**❁ ولذا قال الإمام الشاطبي : " إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله ، وأوله بآخره ، ويترامى بجملته إلى غرض واحد ، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة ، وإنه لا غنى لفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها " [٢] .**

**❁ وإذا كان الأمر كذلك فإن الموضوع الرئيس لسورة الحشر هو : ( الحديث عن " غزوة بني النضير " وهم اليهود الذين نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ فأجلاهم عن المدينة المنورة ، ولهذا كان ابن عباس يسمي هذه السورة " سورة بني النضير " ) [٣] .**

---

(١) مقال بعنوان ( الوحدة الفكرية في السورة القرآنية ) للأستاذ الدكتور / عبد الغني عوض الراجحي ، مجلة منبر الإسلام ، عدد رجب ١٣٩٤ هـ / يوليو ١٩٧٤ م .
(٢) الموافقات في أصول الفقه ، للإمام الشاطبي ٣ / ٤١٦ ط دار المعرفة - بيروت .
(٣) إيجاز البيان في سور القرآن محمد علي الصابوني صـ ٢٣٩ ط مكتبة الغزالي .

# المبحث الأول

## فضائل المهاجرين

قال الله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١) .

❁ قسم الله المؤمنين إلى : المهاجرين والأنصار والذين لم يهاجروا ، فبدأ بالمهاجرين ؛ لأنهم أصل الإسلام وأول من استجاب لله ، فهاجر قومٌ إلى المدينة وقومٌ إلى الحبشة وقومٌ إلى ابن ذي يزن باليمن ثم هاجروا إلى المدينة ، وكانوا قدوة لغيرهم في الإيمان وسببَ تقوية الدين ، وثنَّى بالأنصار لأنهم ساووهم في الإيمان وفي الجهاد بالنفس والمال ، ثم ذكر الفريق الثالث من آمن ولم يهاجر ولم يكن من الأنصار وبين ما يجب على الفريق الثالث نحو الأول والثاني في قوله ﷻ : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

❁ <u>المناسبة :</u>

ترتبط هذه الآية بما قبلها ارتباطًا وثيقًا ، فالحق سبحانه لما نزع أموال الفيء وما كانت عليه في الجاهلية ، وبين مصرف الفيء من القرى ، وتهدد في المخالفة في ذلك لصعوبته على النفوس ، فكان ذلك جديرًا بالتقبل بعد أن أفهم أن أموال بني النضير لمن سلطه عليهم وهو رسول الله ﷺ ، وكان المعلوم من حاله ﷺ الإيثار على نفسه والقناعة بما دون الكفاف ، بين المصرف فيها بعد كفايته ﷺ

---

(١) سورة الحشر آية ( ٨ ) .

لأن بيان ذلك هو المقصود الأعظم لكونه حاصلاً حاضراً ، الموطأ له بأموال أهل القرى ، فقال ﷻ :

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١) .

وأشار إلى هذه المناسبة بإيجاز الحافظ ابن كثير فقال : ( يقول تعالى مبيناً حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ... ) (٢) .

❁ معاني المفردات وأسرار التركيب :

ترسم الآية القرآنية الكريمة صورة صادقة تبرز فيها أهم الصفات المميزة للمهاجرين ، فوصفهم الحق سبحانه وتعالى بأمور :

أولها : أنهم فقراء .

وثانيها : أنهم مهاجرون .

وثالثها : أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم .

ورابعها : أنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً .

وخامسها : أنهم ينصرون الله ورسوله .

وسادسها : أنهم صادقون .

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ١٩ / ٤٣٤ وما بعدها - بتصرف يسير - .
(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ٨ / ٩٤ ط دار الشعب .

**۞ الوصف الأول للمهاجرين : " أنهم فقراء " ويتجلى هذا في قوله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ .**

*** الدلالة اللغوية لقوله : ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ :**

**الفقراء جمع فقير ، والفقرُ : الخِلَّةُ والحاجة الضرورية ، وهو مأخوذ من فقار الظهر كأنه لاحتياجه انكسر فقاره فهو لا ينهض ، وقيل : مأخوذ من قولهم : فقرت البعير ، وذلك أن يُحَزَّ أنف البعير إلى أن يصل الحز إلى العظم ثم يلوى عليه حبل ونحوه ليذل بعد صعوبته ، فكذلك الفقير يحصل له من الغلِّ ما يجعله بمنزلة البعير المذلل المقيَّد .**

**وقيل : مأخوذ من الفُقْرةِ أي الحفرة ، ومنه قيل : كل حفيرة يجتمع فيها الماء فقير .**

**أما الفقير شرعًا : فهو من لا يقع مألُه ولا كسبه اللائق به غير المانع له من النفقة موقعاً من كفايته ، ونقل عن الشافعي أنه قال : الفقراء : الزمنى الذين لا حرفة لهم ، وأهل الحِرف الذين لا تقع حرفتُهم من حاجتهم موقعًا [١] .**

*** والمراد ( بالفقراء ) في الآية الكريمة : هم المهاجرون الذين كان الإنسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويتخذ الحفرة في الشتاء لتقيه البرد ، ما له من دثار غيرها بعد أن كان له من الأموال ما يسعه ويفضل منه ما يصل به غيره ، وإنما وصفهم بالفقر لأنهم كانوا عند نزولها كذلك [٢] .**

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي مادة : فقر ٤ / ٢٨٧ - ٢٨٩ ط عالم الكتب .
(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٣٥ .

أخرج الإمام الطبري بسنده عن قتادة [1] ، قول الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ قال : هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر ، خرجوا حبًا لله ولرسوله ، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة ، حتى لقد ذُكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له دثار غيرها . [2]

* وفي وصف المهاجرين بالفقراء أي : الذين لا مال لهم [3] ، دليل على أن الكفار قد امتلكوا أموال المسلمين بالاستيلاء عليها ، فإنه كانت لهم ديار وأموال بمكة قبل استيلاء الكفار عليها فلو لم يملكها الكفار بالاستيلاء عليها لما سموا فقراء [4] كما في قصة صهيب الرومي .

* وفي قوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ من ناحية الإعراب عدة وجوه :

---

(١) إسناده حسن فيه بشر بن معاذ العقدي صدوق ( تقريب التهذيب ١ / ١٣٠ ترجمة رقم ٧٠٤ ط دار الكتب العلمية ) أما بقية رواة الإسناد فثقات وهم : يزيد بن زريع ، قال عنه ابن حجر : ثقة ثبت ( تقريب التهذيب ٢ / ٣٢٤ ترجمة رقم ٧٧٤١ ) ، سعيد بن أبي عروبة ثقة حافظ ( تقريب التهذيب ١ / ٣٦٠ ترجمة رقم ٢٣٧٢ ) ، قتادة بن دعامة السدوسي ، وهو ثقة ثبت ( التقريب ٢ / ٢٦ ترجمة رقم ٥٥٣٥ ) .
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١٤ / ٢٨ / ٥٢ .
(٣) حاشية محي الدين زادة على تفسير القاضي البيضاوي ٤ / ٤٧٤ ط دار إحياء التراث العربي ، تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل تأليف الإمام عبد الله بن عبد أحمد النسفي ٤ / ٣٥٤ بتصرف ط دار النفائس .
(٤) التبيان في تفسير القرآن للطوسي ٩ / ٥٦٤ ط دار إحياء التراث العربي .

**الأول : أنه بدل من ﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ بدل بعض من كل قاله أبو البقاء [1] .**

**وقال الزمخشري : ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ : بدل من ﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ والمعطوف عليه ، والذي منع الإبدال من ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ والمعطوف عليهما - وإن كان المعنى لرسول الله ﷺ - أن الله ﷻ أخرج رسوله من الفقراء في قوله : ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير ، وأن الإبدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله ﷻ [2] .**

**وقول الإمام الزمخشري : ( وأنه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير ) جواب عما يقال لم لا تجعل قوله تعالى ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ بدلاً من مجموع المصارف المذكورة في قوله تعالى ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ بل جعلته بدلاً من قوله ﴿وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ وما عطف عليه خاصته مع أن الجمل المتعددة إذا عقبها قيد لا يكون ذلك القيد مختصاً ببعضها بل تكون كلها سواء في ذلك القيد إلا أن يقوم الدليل على اختصاصه ببعضها ؟ فالدليل عليه فيما نحن بصدده ، وتقرير الجواب : أنه تعالى ليس من المصارف وإنما ذكر اسمه للتبرك وتعظيم رسوله ﷺ فلا يصح إدخاله في جملة من أبدل فيهم المصارف المذكورة من فقراء المهاجرين والأنصار والتابعين**

---

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء العكبري على هامش حاشية الجمل على الجلالين ٤ / ٣٩١ ط دار المنار .
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري ٤ / ٣٠٥ وما بعدها ط دار الريان للتراث .

لهم إلى يوم القيامة ، والرسول ﷺ وإن كان من المصارف إلا أنه لا يصح إدخاله في جملة المبدل منهم لأن إدخاله فيهم يستلزم تسميته فقيراً ضرورة ، ولا يجوز ذلك حيث يوهم الذم والنقصان ، وإذا لم يصح ذلك في حق الرسول ﷺ ، فعدم صحة تسميته تعالى فقيراً أولى ، لأنه تعالى أخرج رسوله من الفقراء حيث وصفهم بقوله ﷻ ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [1] .

واتجاه الزمخشري في جعله ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ بدلاً من ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ لأنه حنفي ، والحنفية يشترطون الفقر في إعطاء ذوي القربى من الفيء [2] .

والمعنى : إنما يستحق ذو القربى الفقير ، فالفقر شرط فيه على مذهب أبي حنيفة ، ففسره الزمخشري على مذهبه [3] .

* وأول فائدة في هذا البدل : التنبيه على أن ما أفاء الله على المسلمين من أهل القرى المعْنية في الآية لا يجري قسمه على ما جرى عليه قسم أموال بني النضير التي اقتصر في قسمها على المهاجرين وثلاثة من الأنصار ورابع منهم ، فكأنه قيل : ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل للفقراء منهم لا مطلقاً ، يدخل في ذلك المهاجرون والأنصار والذين آمنوا بعدهم [4] .

---

(١) حاشية محي الدين زادة على تفسير القاضي البيضاوي ٤ / ٤٧٤ ط دار إحياء التراث العربي .
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تأليف : أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ١٠ / ٢٨٤ ط دار القلم دمشق .
(٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ١٠ / ١٤٢ ط دار الفكر .
(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٨٧ ط دار سحنون .

*** وسر إعادة اللام مع البدل لربطه بالمبدل منه لانفصال ما بينهما بطول الكلام من تعليل وتذييل وتحذير ، ولإفادة التأكيد [١] .**

**الثاني : أنه بيان من قوله تعالى : ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وعليه لا يشترط الفقر في إعطاء ذوي القربى من الفيء وهذا مذهب الإمام الشافعي .**

**وقيل : يجوز ذلك أيضاً إلا أنه يقول بتخصيص اعتبار الفيء بفيء بني النضير فإنه عليه الصلاة والسلام لم يعطِ غنياً شيئًا منه ، والآية نازلة فيه وفيه تعسف ظاهر[٢] .**

**وفي الكشف على الكشاف لعمر الفارسي أن ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ ليس للقيد بل بياناً للواقع من حال المهاجرين وإثباتاً لمزيد اختصاصهم كأنه قيل: لله وللرسول وللمهاجرين [٣] .**

**الثالث : أنه بدل من قوله تعالى : ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ .**

**قال ابن عطية : ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ بيان لقوله : ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وكررت لام الجر لمَّا كانت الأولى مجرورة باللام ، ليبين أن البدل إنما هو منها [٤] .**

---

(١) المرجع السابق ١٣ / ٢٨ / ٨٨ .
(٢) تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٥ / ٧٠٤ ط دار الفكر . بتصرف .
(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة السيد محمود الألوسي البغدادي ١٠ / ٢٨ / ٥١ ط دار الفكر .
(٤) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ١٢ / ٣٧٦ ط مؤسسة دار العلوم .

وعلق السمين على عبارة ابن عطية بقوله : ( وهي عبارة قلقة جداً ) [1] .

الرابع : أن ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف ، واختلفوا في تحديد المبتدأ فقيل : تقديره ولكن الفيء للفقراء [2] ، وقيل : تقديره : ولكن يكون للفقراء [3] ، وقيل : تقديره : اعجبوا للفقراء [4] .

وهذا الرأي موافق لمذهب الإمام الشافعي وأصحابه من استحقاق أقارب الرسول ﷺ للفيء بمجرد القرابة ولم يشترط الحاجة ، فاشتراطها وعدم اعتبار القرابة يضاده ويخالفه ، واعتذر إمام الحرمين للحنفية بأن الصدقات لما حرمت على ذوي القربى كانت فائدة ذكرهم في خمس الفيء والمغانم أنه لا يمتنع صرفه إليهم امتناع صرف الصدقات ، ثم قال " لا تغترَّ بالاعتذار فالآية نص في ثبوت الاستحقاق تشريفاً لهم فمن علله بالحاجة فوت هذا المعنى [5] .

والذي يؤيد تقدير فعل التعجب - كأبي البقاء وغيره - مجيء قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ ... ﴾ مصدراً بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وهي كلمة تعجيب لكون ذكرهم جاء مقابلاً لذكر أضدادهم .

❁ وفائدة تقدير فعل التعجب : القصد فيه التعجب والتأمل في حال المهاجرين حيث تركوا أوطانهم وأموالهم وتحملوا الضيق

---

(١) الدر المصون للسمين الحلبي ١٠ / ٢٨٤ .
(٢) المرجع السابق ١٠ / ٢٨٤ .
(٣) روح المعاني للألوسي ١٠ / ٢٨ / ٥١ ، إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس تحقيق د / زهير غازي زاهد ٤ / ٣٩٦ ط عالم الكتب .
(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء ٤ / ٣٩١ ، حاشية الصاوي على الجلالين للشيخ أحمد الصاوي ٢ / ٤ / ١٦٠ ط دار إحياء الكتب العربية .
(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٨٨ ط دار سحنون .

**والتغرب في حب النبي والإسلام وهذا نوع تخويف وتوبيخ للكفار والمنافقين القاطنين بأوطانهم مع الأمن والسعة ولم يؤمنوا فليتهم اعتبروا بالمهاجرين [١] ، الذين اتصفوا بتلك الصفات حيث تنزهوا عن الديار والأموال وتركوا ذلك ابتغاء وجه الله [٢] .**

**❁ كما أنَّ في تقدير فعل التعجب أيضاً مدحاً للمهاجرين الذين اتصفوا بتلك الصفات [٣] .**

*** وقيل التقدير : ما أفاء الله على رسوله للمهاجرين الفقراء إلى آخر ما عطف عليه ، فتكون هذه مصارف أخرى للفيء .**

**وعلى هذا القول ينتفي كون ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ قيدًا للجملة التي قبلها [٤] .**

*** وقيل التقدير : والله شديد العقاب للفقراء ، أي : شديد العقاب للكفار بسبب الفقراء [٥] .**

**<u>الخامس :</u> أن قوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ بيان للمساكين الذين لهم الحق ، فقال : ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ [٦] .**

---

(١) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية تأليف سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ٤ / ٣١٥ ط دار المنار .
(٢) حاشية الصاوي على الجلالين للشيخ أحمد الصاوي ٢ / ٤ / ١٦٠.
(٣) المرجع السابق ٢ / ٤ / ١٦٠ .
(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٨٩ .
(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني ٥ / ٢٠٠ ط دار الفكر .
(٦) معاني القرآن وإعرابه تأليف : إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ٥ / ١٤٥ ط عالم الكتب .

وفي جعل البدل من المساكين لا غير ، لأنه تعالى أراد وصف المساكين بما يبين استحقاقهم وبعث الأغنياء على إيثارهم ، وأن لا يجدوا في صدورهم حاجة مما أوتوا ، وقد فصل عنهم قوله ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ طوى ذِكرهم توطئة للصفات فذكروا بصفة أخرى مناسبة للأولى ، فاشتمل على وصفهم بالمسكنة والفقر جميعاً ، ثم تليت صفاتهم بعدُ بأنهم أخرجوا من ديارهم إلى آخرها ، فهذا الذي يرشد إليه السياق ، وأولوا القربى ذكروا على الإطلاق ، فالأولى بقاؤهم على ذلك [1] .

السادس : أن قوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ معطوف بحذف حرف العطف على طريقة التعداد كأنه قيل : فلله وللرسول إلى آخره ، ثم قيل : للفقراء المهاجرين ، وعلى هذا القول ينتفي كونه قيداً للجملة التي قبله [2] .

❁ سر فصل قوله ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾ عما قبلها وسره البلاغي :

فصلت جملة ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾ عن جملة ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ لأن الجملة الثانية نُزِّلتْ منْزلة

---

(١) الانتصاف على الكشاف ٤ / ٤٠٥ باختلاف وتقديم وتأخير واختصار .
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٨٩ .

**عطف البيان عما قبله " جملة تفسيرية " ، فبين الجملتين كمال الاتصال ، وهو من مواضع الفصل بين الجمل [١] .**

**ويجوز أن يكون قوله تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ جواباً عن سؤال يتردد في خاطر النبي الكريم ، بعد أن وضع الله سبحانه هذا الفيء بين يديه ، وجعل ينظر فيما حوله إلى الفقراء الذين دعاه الله سبحانه إلى إعطائهم نصيباً من هذا الفيء ... فالفقراء كثيرون ، فإلى مَن مِن هؤلاء الفقراء يمد يده بالعطاء ؟ فكان جواب الله سبحانه وتعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا﴾ [٢] .**

**فبين الجملتين ما يُعرف بالاستئناف البياني أو شبه كمال الاتصال ، وهو من مواضع الفصل بين الجمل ، حيث نزلت الجملة الثانية منْزلة الجواب عن سؤال مضمر في الجملة الأولى ، وترك العطف بين الجملتين كما يفصل بين السؤال والجواب ، وهذا يدل على شدة اتصال الكلام والتحام بعضه ببعض .**

**❁ الوصف الثاني للمهاجرين : " أنهم مهاجرون " .**

**ويتجلى هذا الوصف في قوله تعالى : ﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾ .**

**قوله ﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾ نعت ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ فالمهاجرين تخصيص بالوصف بعد وصفهم بالفقر .**

*** الدلالة اللغوية لقوله : ﴿الْمُهَاجِرِينَ﴾ :**

---

(١) الموسوعة القرآنية المتخصصة تأليف مجموعة من الأساتذة صـ ٥٠٠ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٢) التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ١٤ / ٨٦٠ ط دار الفكر العربي .

قولُه ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ جمع : مهاجر ، والهجر والهجران :

مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب ، والمهاجرة في الأصل مصارمة (*) الغير ومتاركته [1] ، فالمهاجرة : ترك الوطن والحلول ببلد آخر ، وهي مشتقة من الهجر وهو الترك ، واشتقت لها صيغة المفاعلة لاختصاصها بالهجر القوي وهو هجر الوطن ، الناشئ عن عداوة بين الجانبين فكل من المنتقل والمنتقل عنه قد هجر الآخر وطلب بعده ، أو المفاعلة للمبالغة .

وقد كانت الهجرة من أشهر أحوال المخالفين لقومهم في الدين ، فقد هاجر إبراهيم عليه السلام : ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [2] ، وهاجر لوط عليه السلام : ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [3] وهاجر موسى عليه السلام بقومه وهاجر محمد صلى الله عليه وسلم وهاجر المسلمون بإذنه إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، ولما استقر المسلمون بالمدينة غلب عليهم وصف المهاجرين وأصبحت الهجرة صفة مدح في الدين ، ولذا قال النبي ﷺ في مقام التفضيل : ﴿ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ﴾ [4] . [5]

فالهجرة : الخروج من الوطن الذي لا يمكن إقامة دينه فيه إلى المكان الذي يمكن ذلك فيه ، وهذا من أصعب شيء على الإنسان ، إذ

---

(*) الصرم : القطع .
(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة : هجر ٤ / ٥٣٧ وما بعدها .
(٢) سورة الصافات آية ( ٩٩ ) .
(٣) سورة العنكبوت آية ( ٢٦ ) .
(٤) المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم ، كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب ذكر فضائل الأنصار ٤ / ٨٨ ح رقم ٦٩٦٩ وعلق عليه الحاكم بقوله : هذا حديث صحيح على الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي ، ط دار الكتب العلمية .
(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٠ / ٨٤ .

**هو مفارقة المكان الذي ربا فيه ونشأ مع أهله وعلى طريقتهم ولولا نوازع القوى المربى على وازع النشأة ما أمكنه ذلك .** [١]

**ولقد ذكر المؤرخون أن رسول الله ﷺ عندما خرج من مكة مهاجراً التفت إليها وقال : ﴿ يا مكة والله لأنت أحب بلاد الله إليَّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت ﴾ .** [٢]

**❁ <u>والهجرة في عرف الشرع :</u> الهجرة من مكة إلى المدينة ، فلا تشمل هجرة من هاجر من المسلمين إلى بلاد الحبشة ، لأنها لم تكن على نية الاستيطان بل كانت هجرة مؤقتة.** [٣]

**فالمراد بالمهاجرين هنا : الذين هاجروا إلى النبي ﷺ من مكة إلى المدينة أو هاجروا من دار الحرب إلى دار الإسلام** [٤] **حباً للنبي ﷺ رغبة في الدين ونصرة له** [٥] **.**

**قال قتادة : هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر خرجوا حباً لله ولرسوله واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدة ، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل منهم كان يعصب الحجر على بطنه ، ليقيم به صلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ما له من دثار غيرها .** [٦]

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٣ / ٤٧٨ ط دار الفكر .
(٢) التفسير الوسيط د / محمد سيد طنطاوي ٢ / ٣٧٧ ط دار السعادة .
(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٠ / ١٤٨ ط دار سحنون - بتصرف - .
(٤) التبيان للإمام الطوسي ٩ / ٥٦٥ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٢٠ / ٣٥٧ ط مؤسسة الرسالة ، فتح القدير للشوكاني ٥ / ٢٠٠ .
(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١٤ / ٢٨ / ٥٢ .

**وقال عبد الرحمن بن أبزي وسعيد بن جبير : كان ناسٌ من المهاجرين كان لأحدهم العبد والزوجة والدار والناقة يحج عليها ويغزو ، فنسبهم الله إلى الفقر ، وجعل لهم سهماً في الزكاة .** (١)

**❁ وجاء في السنة ما يشيد بمناقبهم وفضلهم وبشارتهم بالنور التام يوم القيامة وأنهم يسبقون أغنياء هذه الأمة في دخول الجنة .**

**أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً ﴾ .** (٢)

**كما أخرج الإمام أبو داوود بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ صَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ نُورٍ تَامٍّ , يَوْمَ الْقِيَامَةِ , تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِنِصْفِ يَوْمٍ , وَذَلِكَ خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ ﴾ .** (٣)

---

(١) المرجع السابق ١٤ / ٢٨ / ٥٢ .
(٢) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ٨ / ٢٢٠ ح رقم ( ٧٦٥٤ ) باب حدثنا قتيبة بن سعيد ط دار الجيل .
(٣) سنن أبي داوود السجستاني ٣ / ٣٩٢ ح رقم ( ٣٦٦٨ ) كتاب العلم ، باب ( ١٣ ) في القصص ط وزارة الأوقاف المصرية .

❁ الوصف الثالث للمهاجرين : " أنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم " .

ويتجلى هذا الوصف في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ .

**المناسبة :**

يرتبط قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ بما قبله ارتباطاً وثيقاً حيث وصف تعالى المهاجرين بالصفة التي تقتضي فقرهم وتوجب الإشفاق عليهم ، وهي إخراجهم من ديارهم وأموالهم ، وجميع المهاجرين إما أخرجهم الكفار وإما أحوال الكفار وظهورهم ، وفرض الهجرة في ذلك الوقت . (١)

وقوله ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ﴾ نعت ثانٍ للفقراء .

* الدلالة اللغوية لمادة : ﴿ خرج ﴾ :

أصل خرج في اللغة : ما يقابل الدخول والولوج ، وهو النفاذ عن الشيء (٢) ، والبروز منه ، ووجدت للأمر مخرجاً أي مخلصاً . (٣)

قال العلامة الراغب الأصفهاني : خرج خروجاً : برز من مقره أو حاله سواء كان مقره داراً أو بلداً أو ثوباً ، وسواء كان حاله حالة في نفسه أو في أسبابه الخارجة (١) .

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ١٢ / ٣٧٦ ط مؤسسة العلوم .
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة : خرج ٢ / ١٧٥ ط دار الجيل بيروت .
(٣) المصباح المنير تأليف / أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي مادة : خرج صـ ٨٩ ط المكتبة العصرية .

وفي ذكر الإخراج بعد الهجرة من باب التفصيل بعد الإجمال ، فالهجرة إنما كانت بالإخراج من الديار . [٢]

* ومعنى : ﴿أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ أي : أخرجهم كفار مكة وأحوجوهم إلى الخروج من الديار والأموال [٣] سوء عشرة الكفار وقبيح أفعالهم معهم والأذى والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة. لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله ... وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم [٤] وهذا فيه إلزام الذنب للكفار . [٥]

* ووُصِف المهاجرون بـ ﴿أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ تنبيهاً على أن إعطاءهم مراعىً جبر ما نكبوا من ضياع الأموال والديار ، ومراعىً فيه إخلاصهم الإيمان ، وأنهم مكررون نصر دين الله ورسوله ﷺ . [٦]

وقال العلامة أبو السعود : " وصفوا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الإخراج من الديار والأموال " . [٧]

* وفي إجراء قوله ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ وصفاً ثانياً للفقراء بعد الوصف بالمهاجرين لتحقيق معنى المفاعلة في هاجر أي : هاجروا مهاجرة ألجأهم إليها قومهم ، سواء أكان الإخراج بصريح القول أم بالإلجاء ، من جهة سوء المعاملة . ولقد هاجر المسلمون الهجرة الأولى إلى الحبشة لما لاقوه من سوء معاملة المشركين ، ثم هاجر رسول الله ﷺ هجرته إلى المدينة والتحق به المسلمون كلهم ، لما

---

(١) المفردات في غريب القرآن للإمام الراغب مادة : خرج .
(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤ / ٢٥١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .
(٣) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٢٠ / ٣٥٧ ط مؤسسة الرسالة .
(٤) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٢٦ ط دار الشروق .
(٥) البحر المحيط في التفسير ٣ / ١١٦ ط دار الفكر .
(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٨٩ .
(٧) تفسير أبي السعود ٥ / ٧٠٥ .

لاقوه من أذى المشركين . ولا يوجد ما يدل على أن المشركين أخرجوا المسلمين . وكيف واختفاء رسول الله ﷺ عند خروجه إلى المدينة يدل على حرص المشركين على صده عن الخروج فكل ما ورد مما فيه أنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق فتأويله أنه الإلجاء إلى الخروج ومنه قول ورقة ابن نوفل : ( يا ليتني أكون معك إذ يخرجك قومك ) وقول النبي ﷺ له : ( أو مخرجي هم ؟ فقال : ما جاء نبيء بمثل ما جئت به إلا عودي ) [1] . [2]

* الصورة البلاغية في قوله : ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ :

في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ تكميل واحتراس حيث لو اقتصر على قوله ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ لتوهم أن المراد بالهجرة من هجر أهل الكفر من غير مفارقة الوطن ، فأتى بما يدفع هذا الإيهام فقال : ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ .

ولذا قال الإمام البقاعي : " ولما كانت الهجرة قد تطلق على من هجر أهل الكفر من غير مفارقة الوطن فقال : ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ ... ﴾ " . [3]

* سر بناء : ﴿أُخۡرِجُواْ﴾ للمفعول :

---

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي باب رقم ( ١ ) كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١ / ٤ ، ح رقم ( ٣ ) ط دار ابن كثير .
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٢ / ٢٠٤ ط دار سحنون .
(٣) نظم الدرر للإمام البقاعي ١٩ / ٤٣٥ .

وجاء الفعل ﴿أُخْرِجُوا﴾ مبنياً للمفعول : لأن الدافع للهجرة الإخراج لا كونه من معين [1] ، أي الاهتمام بالحدث - الإخراج - بغض النظر عن فاعله ، وإشارة إلى أنهم لم يخرجوا عن رغبةٍ منهم في الخروج ، وإنما أخرجوا إخراجاً بيد القهر والعدوان . [2]

فهؤلاء المهاجرون لم يصدر منهم ما يستوجب إخراجهم إلا قولهم ( ربنا الله ) فإن إيمانهم بالله لا ينجر منه اعتداء على غيرهم إذ هو شيء قاصر على نفوسهم والإعلان بالقول لا يضر بغيرهم .

فالاعتداء عليهم بالإخراج من ديارهم لأجل ذلك ظلم بواح واستخدام للقوة في تنفيذ الظلم .

فالاستثناء في قوله ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ استثناء من عموم الحق ، ولما كان المقصود من الحق حقاً يوجب الإخراج ، أي الحق عليهم كان هذا الاستثناء مستعملاً على طريقة الاستعارة التهكمية ، أي : إن كان عليهم حق فهو أن يقولوا : ربنا الله ، فيستفاد من ذلك تأكيد عدم الحق عليهم بسبب استقراء ما قد يتخيل أنه حق عليهم . وهذا من تأكيد الشيء بما يوهم نقضه . ويسمى عند أهل البديع تأكيد المدح بما يشبه الذم . [3]

ولما كان الإخراج يتصور في الديار دون الأموال ضُمِن قوله ﷻ : ﴿أُخْرِجُوا﴾ معنى المنع أي : منعوا من ديارهم وأموالهم ، ويبرز العلام البقاعي سر اختيار التعبير بـ ﴿أُخْرِجُوا﴾ دون غيره فقال - رحمه الله - :

---

(١) المرجع السابق ١٩ / ٤٣٥ .
(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب ١٤ / ٨٦٠ ط دار الفكر .
(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٧ / ٢٧٥ .

" واختير التعبير به إشارة إلى أن المال السترة للإنسان لأنه ظرف له ، قال : ﴿وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ " . [1]

وأشار إلى هذه النكتة أيضاً العلامة الصاوي في حاشيته على الجلالين فقال : " قوله : ﴿وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ عطف على ﴿دِيَٰرِهِمْ﴾ وعبر فيه بالخروج لأن المال لما كان يستر صاحبه كان كأنه ظرف له " [2] .

وقيل : الكلام من باب ( علفتها تبناً وماءً بارداً ) [3] أي أخرجوهم من ديارهم وأخذوا أموالهم .

وأشار إلى هذا الوجه الإمام البيضاوي - رحمه الله - بقوله : " قوله ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ فإن كفار مكة أخرجوهم ، وأخذوا أموالهم " .

وعلق الشهاب على عبارة البيضاوي فقال : ( وقوله : " وأخذوا أموالهم " إشارة إلى أنّ قوله ﷻ ﴿وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ كقوله ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ ) [4] .

❁ الوصف الربع : " أنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً " .

ويتجلى هذا الوصف في قوله تعالى : ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ .

**المناسبة :**

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٣٥ .
(٢) حاشية الصاوي على الجلالين ٢ / ٤ / ١٦ .
(٣) أي علفتها تبناً وسقيتها ماءً باردًا .
(٤) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير العلامة البيضاوي ٩ / ١٤٠ ط دار الكتب العلمية .

يرتبط قوله ﷻ :﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ بما قبله ارتباطاً وثيقاً وذلك لما كان طلب الدنيا من النقائص بين أنه إذا كان من الله لم يكن كذلك ، وأنه لا يكون قادحاً في الإخلاص ، وأن أمر بني النضير إنما يسر تحقيقًا لرجائهم فقال ﷻ : ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ . [1]

❁ ويمكن أن تكون هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً فالجملة القرآنية جواب عن سؤال مقدر كأن سائلاً سأل : ماذا يريدون بهذا ؟ فكان الجواب يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . [2]

* الدلالة اللغوية لقوله : ﴿يَبْتَغُونَ﴾ :

يبتغون من الابتغاء بمعنى الطلب بجد واجتهاد .

والمراد بقوله : ﴿يَبْتَغُونَ﴾ : يطلبون على وجه الاجتهاد [3] .

* وجملة ﴿يَبْتَغُونَ﴾ في موضع نصب على الحال ، أي حال كونهم طالبين منه فضلاً ورضوانًا ، وفي صاحبها قولان :

أحدهما : الفقراء .

الثاني : الواو في ﴿أُخْرِجُوا﴾ [4] أي من نائب الفاعل ، وللحال من صاحبها فائدتان :

---

(١) نظم الدرر للإمام البقاعي ١٩ / ٤٣٦ .
(٢) صور من البيان القرآني د / محمد جلال الذهبي صـ ١٦٨ ط الأمانة - القاهرة - .
(٣) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٣٦ .
(٤) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ٢ / ٧٢٥ ط مؤسسة الرسالة - بيروت - .

**الأولى : أن إخراجهم فيه إشارة إلى ما يوجب تفخيم شأنهم ، لأن مفارقة الديار والأموال تقتضي الحزن واليأس ، وهذا يقتضي توكلهم التام ، والرضا بما قدره الله [1] ، فلا ملجأ لهم سواه ولا جناب لهم إلا حماه .**

**الثانية : أن الجملة الحالية تكشف عن الحال التي تلبس بها هؤلاء المهاجرون ، حين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وأنهم حين أخرجوا كانوا على حال يبتغون بها فضل الله ورضوانه ، وينصرون الله ورسوله ، ولم يكن إخراجهم عن حالٍ أخرى تدعو قومهم إلى إخراجهم من بينهم [2] ... وهذا ما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [3] .**

**❁ وفي إيثار صيغة المضارع في قوله : ﴿يَبْتَغُونَ﴾ للدلالة على تكرار ذلك ، وهذا يفيد تجدد الطلب منهم ، فهم دائماً في تضرع إلى الله تعالى .**

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٩ / ١٤٠ .
(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب ٤ / ٨٥٩ وما بعدها ط دار الفكر .
(٣) سورة الحج آية ( ٤٠ ) .

❁ قوله ﴿فَضۡلًا﴾ .

* الدلالة اللغوية لقوله : ﴿فَضۡلًا﴾ :

الفضل أصله الزيادة فهو ضد النقص ، وذلك ضربان : محمود كفضل العلم والحِلْم ، ومذموم كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه . والفضل في المحمود أكثر استعمالاً . (١) وشاع إطلاقه على الزيادة في الخير والكمال الديني . (٢)

وتعددت أقوال المفسرين في المراد بالفضل هنا على أقوال :

قيل : ثواب الجنة . (٣)

وقيل : رزقٌ في الدنيا يأتيهم . (٤)

وقيل : غنيمة في الدنيا . (٥)

❁ ونصب فضلاً على المفعول به ، وفيه بيان أنه لا يجب عليه شيء لأحد . (٦)

❁ والتعرض لعنوان الألوهية دون الربوبية في قوله ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لبيان أنه الملك الأعظم الذي لا كفؤ له لأنه المختص بجميع صفات الكمال من الدنيا والدين والآخرة فيغنيهم بفضله عمن سواه . (٧)

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني في مادة : فضل ٣ / ٣٨١ .
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٨ / ١٨٩ ط الدار التونسية .
(٣) تفسير الرازي ١٥ / ٤٧٧ .
(٤) تفسير أبي السعود ٥ / ٧٠٥ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٧ / ٣٣٧ ط دار الفكر .
(٥) تفسير القرطبي ٢٠ / ٣٥٧ .
(٦) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٣٦ .
(٧) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ١٠٩ .

❁ قوله ﴿وَرِضْوَانًا﴾ .

* الدلالة اللغوية لقوله : ﴿وَرِضْوَانًا﴾ :

الرضوان مأخوذ من رضي يرضى رضواناً فهو راضٍ ومرضي ومرضوّ ، والرضوان أبلغ من الرَّضِي [١] ، والرضوان : الرضا الكثير ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى خُصَّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [٢] . [٣]

وتعددت أقوال المفسرين في المراد بالرضوان هنا على أقوال :

قيل : مرضاة الله في الآخرة . [٤]

وقيل : الجنة . [٥]

وقيل : رضى ربهم حين خرجوا إلى دار الهجرة . [٦]

وقيل : يوفقهم لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبتهم في العوض منه قادحاً في الإخلاص فيوصلهم إلى دار كرامته . [٧]

❁ والتنكير في كلمتي ( فضلاً ورضواناً ) للتفخيم كماً وكيفاً . [٨]

---

(١) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي مادة : رضو ٢ / ١٠٦ .
(٢) سورة التوبة آية ( ٧٢ ) .
(٣) المفردات للرغب الأصفهاني مادة : رضي ٢ / ١٩٧ .
(٤) تفسير أبي السعود ٥ / ٧٠٥ .
(٥) تفسير ابن عطية ١٢ / ٣٧٦ .
(٦) زاد المسير لابن الجوزي ٧ / ٣٣٧ .
(٧) نظم الدرر للإمام البقاعي ١٩ / ١٠٩ .
(٨) تفسير أبي السعود ٣ / ٤ ط دار إحياء التراث العربي بيروت .

❁ فهذه الصفة هي صور مشاعرهم الدائمة الثابتة كل ما يشغل بالهم وكل ما تتطلع إليه أشواقهم هو فضل الله ورضوانه ولا شيء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه . [١]

❁ وقد وردت هذه الصفة في القرآن لجميع أصحاب رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار في قوله تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ﴾ [٢]

فكل من المهاجرين والأنصار يبتغون فضلاً من الله ورضواناً لكن أخص أوصاف المهاجرين هذه الصفة والأنصار يشاركونهم فيها .

❁ والمعنى : طالبين الرزق من الله لإعراضهم عن أملاكهم الدنيوية ومرضاة الله تعالى في الآخرة . [٣]

❁ الوصف الخامس : " أنهم ينصرون الله ورسوله " .

ويتجلى هذا الوصف في قوله ﷻ : ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ﴾ .

المناسبة :

لما وصف الله تعالى المهاجرين بتعليق بواطنهم به سبحانه وقطعها بالرضا بالإخراج عمن سواه وصفهم ببذل ظواهرهم له فقال : ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ﴾ . [٤]

* سر وصل قوله : ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ﴾ بما قبله :

---

(١) سورة الفتح د / محمود بن الشريف صـ ٧٥ ط دار المعارف .
(٢) سورة الفتح آية ( ٢٩ ) .
(٣) حاشية الصاوي على الجلالين ٢ / ٤ / ١٦١ .
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٩ / ٤٣٦ .

**السر في الوصل بين هاتين الجملتين التوسط بين الكمالين ، حيث اتحدت الجملتان في الخبَرية لفظاً ومعنى ووجدت بينهما مناسبة عامة تربط بينهما فالجملة الثانية ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ معطوفة على قوله ﴿يَبْتَغُونَ﴾ فهي حال - مثلها - مقدرة أي ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله إذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل [١] ، أو مقارنة فإن خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين إلى المدينة نصرة وأي نصرة . [٢]**

*** الدلالة اللغوية لقوله : ﴿وَيَنصُرُونَ﴾ .**

**النَّصر إعانة المظلوم ، نصره على عدوه ينصُره ونصَره ينصُره نصراً ، وفي الحديث ﴿ انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ﴾ [٣] وتفسيره أن يمنعه من الظلم إن وجده ظالماً وإن كان مظلوماً أعانه على ظالمه والاسم النُّصرة . [٤]**

*** سر التعبير بالفعل المضارع : ﴿وَيَنصُرُونَهُۥٓ﴾ .**

**آثر التعبير بالفعل المضارع بدلاً من الماضي وذلك على سبيل التجديد في كل وقت والاستمرار [٥] فهم مكررون نصر دين الله ورسوله ﷺ . [٦]**

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين ٢ / ٤ / ١٦ .
(٢) تفسير أبي السعود ٥ / ٧٠٥ .
(٣) صحيح البخاري كتاب المظالم باب ( ٥ ) ﴿ أعِنْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ﴾ ٢ / ٨٦٣ ح رقم ( ٢٣١١ ، ٢٣١٢ ) ط دار ابن كثير .
(٤) لسان العرب لابن منظور مادة : نصر ٥ / ٢١٠ ط دار صادر بيروت .
(٥) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٣٦ .
(٦) التحرير والتنوير ١٣ / ٢٨ / ٨٩ .

❁ المراد بقوله : ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ .

تعددت أقوال المفسرين في المراد من قوله : ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ بعبارات متقاربة ليس بينها اختلاف بل الاختلاف يكون من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد على النحو التالي :

قيل : ينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمداً ﷺ . (١)

وقيل : ينصرون دين الله ويعينون رسوله . (٢)

وقيل : نصر الله هو نصر شرعه ونبيه ﷺ . (٣)

وقيل : ينصرون الله بأنفسهم وأموالهم . (٤)

وقيل : ينصرون الله بالجهاد في سبيل الله . (٥)

وقيل : ينصرون الله ببذل النفوس لقوة اليقين . (٦)

وقيل : ينصرون الله ورسوله بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات وأضيق الأوقات . (٧)

ويمكن الجمع بين الأقوال السابقة بقولنا : ينصرون دين الله الذي بعث به رسوله محمداً ﷺ ويعينون رسوله عليه وذلك بإقامة

---

(١) جامع البيان للطبري ١٤ / ٢٨ / ٥٢ .
(٢) تفسير النسفي ٤ / ٣٥٤ .
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١٢ / ٣٧٦ .
(٤) مفاتيح الغيب ١٥ / ٤٧٧ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠ / ٣٥٨ .
(٦) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ١٦ / ٥٧٤٠ ط دار إحياء الكتب العربية .
(٧) في ظلال القرآن سيد قطب ٦ / ٣٥٢٦ .

شرعه بالجهاد في سبيل الله باذلين المهج والأرواح والأموال في أحرج الساعات وأضيق الأوقات لقوة يقينهم .

❁ الوصف السادس : " أنهم صادقون " .

ويتجلى هذا الوصف في قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ .

**المناسبة :**

لما ذكر سبحانه وتعالى - فيما سبق - صفات المهاجرين في قوله : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ...﴾ وأبان ما لهم به سبحانه من العناية ترقب السامع من مدحهم ما يليق بهذا الإخبار فقال مستأنفاً ما هو كالعلة لتخصيصهم : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ . (١)

❁ فقوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن السامع إذا سمع ما تقدم من صفات الثناء عليهم ترقب فائدة تلك الأوصاف . (٢) فهي جواب عن سؤال مقدر اقتضته الجملة الأولى .

❁ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ : ( أولاء ) جمع ( ذا ) ، وهو مبني على الكسر ، لأنه ضعف لإبهامه عن قوة الأسماء ، وكان أصل البناء السكون ، فحرك بالكسر لالتقاء الساكنين ، و ( الكاف ) للخطاب . (٣)

---

(١) نظم الدرر للإمام البقاعي ١٩ / ٤٣٦ .
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١ / ٢٤٢ ط دار سحنون .
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١ / ١٥٠ .

❁ واسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ متوجه إلى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها [1] ، وأصل الإشارة أن تعود إلى ذات مشاهدة معينة إلا أن العرب قد يخرجون بها عن الأصل فتعود إلى ذات مستحضرة من الكلام بعد أن يذكر من صفاتها وأحوالها ما يُنزلها منْزلة الحاضر في ذهن المتكلم والسامع ، فإن السامع إذا وعى تلك الصفات وكانت مهمة أو غريبة في خير أو ضده صار الموصوف بها كالمشاهد ، فالمتكلم يبني على ذلك فيشير إليه كالحاضر المشاهد ، فيؤتى بتلك الإشارة إلى أنه لا أوضح في تشخيصه ، ولا أغنى في مشاهدته من تعرف تلك الصفات ، فتكفي الإشارة إليها ، هذا أصل الاستعمال في إيراد الإشارة بعد ذكر صفات مع عدم حضور المشار إليه . ثم إنهم قد يتبعون اسم الإشارة الوارد بعد تلك الأوصاف بأحكام فيدل ذلك على أن منشأ تلك الأحكام هو تلك الصفات المتقدمة على اسم الإشارة ، لأنها لما كانت هي طريق الاستحضار كانت الإشارة لأهل تلك الصفات قائمة مقام الذوات المشار إليها ، فكما أن الأحكام الواردة بعد أسماء الذوات تفيد أنها ثابتة للمسميات فكذلك الأحكام الواردة بعد ما هو للصفات تفيد أنها ثبتت للصفات . [2]

فأتى باسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ لإحضارهم أمام المخاطبين للحكم عليهم حضورياً بهذا الحكم المشرف حكماً مبنياً على المشاهدة والحس شأن اسم الإشارة ، وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تمييز ، منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة [3] والمبالغة في مدحهم وتعظيم شأنهم وللتنبيه على أن استحقاقهم وصف الصادقين لأجل ما سبق اسم الإشارة من الصفات وهي أنهم أخرجوا من ديارهم

---

(١) حاشية الجمل على الجلالين ١ / ١٣ ط دار المنار .
(٢) التحرير والتنوير ١ / ٢٤١ ط دار سحنون .
(٣) حاشية الجمل على الجلالين ١ / ١٣ .

وأموالهم وابتغاؤهم فضلاً من الله ورضواناً ونصرهم الله ورسوله فإن الأعمال الخالصة فيما عملت لأجله يشهد للإخلاص فيها ما يلحق عاملها من مشاق وأذى وإضرار فيستطيع أن يخلص منها لو ترك ما عمله لأجلها أو قصر فيه . (١)

❁ واختار اسم الإشارة الذي للبعيد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منْزلتهم في الفضل . (٢)

❁ واسم الإشارة هنا حل محل ذكر ضميرهم والإشارة أحسن منه وقعاً لأنها تتضمن جميع أوصافهم المتقدمة ، فالاستئناف بذكر اسم الإشارة أبلغ من الاستئناف الذي يكون بإعادة اسم المستأنف عنه ، لأنه أظهر في كون الإشارة لقصد التنويه بتلك الصفات المشار إليها وبما يرد بعد اسم الإشارة من الحكم الناشئ عنها . (٣)

❁ و ﴿هُمُ﴾ ضمير فصل لأنه وقع بين معرفتين ، يفصل بين الخبر والصفة أي يميز ويفرق بين كون اللفظ خبراً أو صفة للمبتدأ أو يؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه .

فجملة ﴿هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ مفيدة للقصر لأجل ضمير الفصل وهو قصر ادعائي للمبالغة في وصفهم بالصدق الكامل كأن صدق غيرهم ليس صدقاً في جانب صدقهم . (٤)

❁ والتعريف في ﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ للدلالة على أن المهاجرين هم الذين بلغك عنهم أنهم صادقون ، كما أنها تفيد الكمال أي الكاملون في

---

(١) التحرير والتنوير ١٣ / ٢٨ / ٨٩ .
(٢) حاشية الجمل على الجلالين ١ / ١٣ .
(٣) التحرير والتنوير ١ / ٢٤٢ ط دار سحنون .
(٤) التحرير والتنوير ١٣ / ٢٨ / ٨٩ .

**الصدق في دعواهم الإيمان حيث فعلوا ما يدل أقوى دلالة عليه مع إخراجهم من أوطانهم وأموالهم لأجله لا غيرهم ممن آمن ولم يخرج من داره وماله .** [1]

**ومن ثم قال البقاعي : ﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ العريقون في هذا الوصف لأن مهاجرتهم لما ذكر وتركهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الإيمان بالله ورسوله ﷺ حيث نابذوا من عاداهما وهو القريب الصافي نسباً وداراً وأولوا أوليائهما من كانوا وإن بعدت دارهم وشط مزارهم ، وهذا يدل على أن مبنى الدين على إقامة البينات بالثبات عند الابتلاءات على أن العون قد يأتي على قدر البلاء ، لأن الله تعالى قد خص المهاجرين بما أذن فيه من أموال بني النضير .** [2]

**❁ وحذف متعلق الصدق في قوله : ﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ لإفادة العموم ، ولتذهب النفس في تقديره كل مذهب ، ولذا تنوعت عبارات المفسرين في بيانه على النحو التالي :**

**( ١ ) صدقوا في قولهم وفعلهم .** [3]

**( ٢ ) صدقوا في إيمانهم وجهادهم** [4] **، قولاً وفعلاً .** [5]

**( ٣ ) صدقوا في الإيمان اليقيني لتصديق أعمالهم دعواهم ، إذ علامة وجدان اليقين ظهور أثره على الجوارح ، بحيث لا تمكن حركاتها إلا على مقتضى شاهدهم من العلم .** [1]

---

(١) روح المعاني للإمام الألوسي ١٠ / ٢٨ / ٥١ .
(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٣٦ .
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ١٠ / ٧٣٩٢ ط كلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة .
(٤) الكشاف ٤ / ٥٠٤ .
(٥) البحر المحيط ١٠ / ١٤٢ .

**( ٤ ) صدقوا بألسنتهم وأفعالهم ؛ لأن أفعالهم في أمر هجرتهم إنما كانت وفق أقوالهم .** [٢]

**( ٥ ) صدقوا مع الله في أنهم اختاروه ، وصدقوا مع رسوله ﷺ في أنهم اتبعوه ، وصدقوا مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراها الناس .** [٣]

**❁ وسر تذييل صفات المهاجرين بالصدق في قوله : ﴿هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ : للدلالة على أنهم قد فعلوا ما يدل على الإخلاص في إيمانهم ، والرغبة الصادقة من نيل المغفرة والكرامة عند ربهم ، فهم قد أخرجوا من ديارهم وهى العزيزة على النفوس، المحببة إلى القلوب .**

**بلادي وإن جارت عليَّ عزيزة ... وأهلي وإن ضنوا على كرام**

**وتركوا الأموال ، والمالُ شقيق الروح ، وكثيراً ما يقتل المرء في سبيل الذود عنه ، وانتزاعه من أيدى غاصبيه ، وما فعلوا ذلك إلا لإعلاء منار الدين ورفعة شأنه ، وذيوع ذكره ، فحق لهم من ربهم النعيم المقيم ، وجزيل الثواب بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، كفاء ما قاموا به من جليل الأعمال ، وعظيم الخلال** [٤] **، فما فعلوا ذلك لابتغاء مغنم من مغانم الدنيا أو متاع من متاعها .** [٥]

---

(١) تفسير القاسمي ١٦ / ٥٧٤ ط دار إحياء التراث العربي .
(٢) تفسير ابن عطية ١٤ / ٣٧٧ - بتصرف - .
(٣) في ظلال القرآن أ / سيد قطب ٦ / ٣٥٢٦ .
(٤) تفسير المراغي ١٠ / ٤٢ .
(٥) التفسير القرآني للقرآن ١٤ / ٨٦٠ .

# المبحث الثاني

## فضائل الأنصار

قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

هذه الآية الكريمة شروع في الثناء على الأنصار بخصالٍ حميدة إثر بيان الثناء على المهاجرين (٢) ، فالحق - سبحانه - لما مدح المهاجرين وأعطاهم فطابت نفوس الأنصار بذلك وكانوا في كل حال معه ﷺ ، ومهما أراد منهم صاروا إليه ، أتبعه مدحهم جبراً لهم وشكراً لصنيعهم ؛ فقال عاطفاً على مجموع القصة : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ .... ﴾ (٣) .

فالآية الكريمة ترسم صورة وضيئة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار . هذه المجموعة التي تفردت بصفات ، وبلغت إلى آفاق ، لولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها أحلاماً طائرة ورؤى مجنحة ومثلاً عليا قد صاغها خيال محلق (٤) ... وأثنى الله تعالى في هذه الآية على الأنصار بالصفات الآتية :

---

(١) سورة الحشر آية ( ٩ ) .
(٢) حاشية الصاوي على الجلالين للشيخ أحمد الصاوي ٢ / ٤ / ١٦١ ط دار إحياء الكتب العربية .
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٩ / ٤٣٧ .
(٤) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٢٦ .

**الأولى : أنهم يحبون المهاجرين .**

**الثانية : سلامة صدورهم تجاه إخوانهم المهاجرين .**

**الثالثة : الإيثار على أنفسهم مع الحاجة .**

**الرابعة : أنهم قد وُقُوا شح أنفسهم .**

**الخامسة : أنهم هم المفلحون .**

**واختلف المفسرون هل هذه الآية مقطوعة عما قبلها أو معطوفة : فذهب الإمام الزمخشري وتبعه الإمام أبو حيان إلى أن قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ.... ﴾ معطوف على المهاجرين ، وهم الأنصار ، فيكون قد وقع بينهم الاشتراك فيما يقسم من الأموال ، [1] لفقرهم واستحقاقهم .**

**وذهب الإمام القرطبي إلى أن هذه الآية ابتداء لكلام في مدح الأنصار والثناء عليهم ، فإنهم سلموا ذلك الفيء للمهاجرين ، وكأنه قال : الفيء للفقراء المهاجرين ، والأنصار يحبون لهم ، لم يحسدوهم على ما صَفَا لهم من الفيء [2] ، وعلى هذا يكون الموصول مرفوعاً على الابتداء ، والخبر ﴿يُحِبُّونَ﴾ .**

**- والراجح ما ذهب إليه الزمخشري أن الموصول ( الَّذِينَ ) عطف على المهاجرين أي والذين تبوأوا الدار . [3]**

---

(١) راجع : تفسير الكشاف ٤ / ٤٠٥ ، والبحر المحيط في التفسير ١٠ / ١٤٢ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٢٠ / ٣٥٩ .
(٣) روح المعاني للألوسي ١٣ / ٢٨ / ٩٠ ، والتحرير والتنوير ٢٨ / ٨٩ .

❁ ﴿تَبَوَّءُو﴾ أصل التبوء : اتخاذ المباءة وهي البقعة التي يبوء إليها صاحبها ، أي : يرجع إليها بعد انتشاره في أعماله [١] ، والمُبَوَّأ : المنْزل الذي يلزمه نازله . فأصله من البواء وهو اللزوم . [٢]

❁ ﴿ٱلدَّارَ﴾ المنْزل اعتباراً بدورانها الذي لها بالحائط ثم أطلقت على البلاد ، وأصلها موضع القبيلة من الأرض . وأطلقت على القرية قال تعالى في ذكر ثمود : ﴿فَأَصْبَحُوا۟فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي : في مدينتهم وهي حجر ثمود . [٣]

❁ والمراد بالدار المدينة ، وسمَّى المدينة داراً ، لأنها دار الهجرة ومكان ظهور الإيمان بالإيمان . [٤]

❁ ومعنى ( تبوئهم الدار ) أنهم اتخذوا المدينة والإيمان مباءة وتمكنوا فيها أشد تمكن على تنْزيل الحال منْزلة المكان [٥] ، وهو تعبير ذو ظلال وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان ، لقد كان دارهم ونزلهم ووطنهم الذي تعيش فيه قلوبهم ، وتسكن إليه أرواحهم ، ويثوبون إليه ويطمئنون له ، كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار . [٦]

❁ وفي ذكر الدار ( وهي المدينة ) مع ذكر الإيمان إيماء إلى فضيلة المدينة بحيث جعل تبوؤهم المدينة قرين الثناء عليهم بالإيمان ،

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٩٠ .
(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي مادة : بوأ ١ / ٢٧٤ ط عالم الكتب .
(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب مادة : دار ١ / ١٧٤ ط الأفست بشركة الإعلانات بالشرقية ، والتحرير والتنوير ١٣ / ٢٨ / ٩٠ .
(٤) البحر المحيط ١٠ / ١٤٣ .
(٥) تفسير أبي السعود ٥ / ٧٠٥ .
(٦) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٢٦ .

فالمدينة تبوأت بالإيمان والهجرة ، وإن غيرها من القرى افتتحت بالسيف . [١]

❁ والتعريف في الدار للعهد ، وقيل للكمال أي : الكاملة في الدور وهي التي أعدها الله في الأزل للهجرة وهيأها للنصرة وجعلها دائرة على جميع البلدان محيطة بها غالبة عليها محل إقامتهم وملابستهم وصحبتهم وملازمتهم لكونها أهلاً لأن يعود إليها من خرج منها فلا يهجرها أصلاً فهي محل مناه وليست موضعاً يهاجر منه لبركتها أو خيرها . [٢]

❁ ونسبة التبوء إلى الدار ظاهرة والمراد بها المدينة ، ولكن نسبته إلى الإيمان فيها غموض ، لأن التبوء إنما يكون في الأماكن ، فتأوله المفسرون على وجوه :

الأول : ضمن ﴿تَبَوَّءُو﴾ معنى لزموا ، واللزوم قدر مشترك في الدار والإيمان ، فيصح العطف [٣] ، أي لابسوا الإيمان وصحبوه وخصوه بالصحبة ولزموه لزوماً هو كلزوم المنْزل الذي لا غنى لنازله عنه . [٤]

الثاني : أن الإيمان معطوف على عامل مقدر يدل عليه الكلام ، تقديره : وأخلصوا الإيمان . [٥]

الثالث : أن يجعل الكلام استعارة مكنية ، حيث شُبِّه الإيمان من حيث إن المؤمنين من الأنصار تمكنوا فيه تمكن المالك المتسلط في مكانه ومستقره بمدينة من المدائن الحصينة ، بتوابعها ومرافقها ، ثم خُيّل أن الإيمان مدينة بعينها تخييلاً محضاً فأطلق على المتخيل اسم

---

(١) التحرير والتنوير ١٣ / ٢٨ / ٩١ .
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ١٩ / ٤٣٨ .
(٣) البحر المحيط في التفسير ١٠ / ١٤٣ .
(٤) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٣٨ .
(٥) الكشاف ٤ / ٤٠٥ ، التحرير والتنوير ١٣ / ٢٨ / ٩٠ .

**الإيمان ، وجعلت القرينة نسبة التبوء اللازم للمشبه به إليه على سبيل الاستعارة التخييلية ، لتكون مانعة لإرادة الحقيقة .** [١]

**الرابع :** وهي استعارة تصريحية تحقيقية ، لأن المشبه المتروك وهي المدينة حِسِّي ، والجامع النجاة من مخاوف الدارين . [٢]

**الخامس :** أن الكلام من باب حذف المضاف ، والتقدير : أراد دار الهجرة ودار الإيمان . فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه . [٣]

**السادس :** أن التبوء مجاز مرسل عن اللزوم وهو لازم معناه فكأنه قيل : لزموا الدار والإيمان . [٤]

**السابع :** أن الإيمان وصف للدار بإعادة العاطف ، للإشارة إلى التمكن في كل من الوصفين ، فيكون كأنه قيل : تبوؤا المدينة التي هي الدار وهي الإيمان لأنها محل تمكن الإيمان وانتشاره وظهوره في سائر البلدان ، فلشدة ملابستها له سميت به . [٥]

**الثامن :** أن المراد بالدار والإيمان شيء واحد وهو المدينة ، وسميت بالإيمان على طريقة تسمية المحل باسم ما حل فيه أو تسمية المظهر والمصير باسم ما ظهر فيه وصار إليه . [٦]

**التاسع :** أن يكون تبوُّأ الإيمان على طريق المثل ، كما تقول : تبوَّأ من بني فلان الصميم [١] . [٢]

---

(١) حاشية الطيبي على الكشاف ١٥ / ٣٢٦ وما بعدها . ط جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم .
(٢) المرجع السابق ١٥ / ٣٢٧ .
(٣) الكشاف ٤ / ٤٠٥ .
(٤) روح المعاني للألوسي ١٠ / ٢٨ / ٥١ .
(٥) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٣٨ .
(٦) حاشية زادة ٤ / ٤٧٥ .

**ولما كان الأنصار قد انفردوا بإقامة الإيمان في الدار المذكورة قبل قدوم المهاجرين عليهم مدحاً ثابتاً ، قال مادحاً لهم بذلك دالاً بإثبات الجار على أنهم لم يستغرقوا زمان القبل من حين إرسال الرسول ﷺ ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ .** (٣)

**❁ والضمير في قوله ﴿قَبْلِهِمْ﴾ للمهاجرين ، أي من قبل هجرة المهاجرين .**

**فإن قيل : كيف يصح أن يقال : إن الأنصار لزموا الإيمان قبل المهاجرين وليس الأمر كذلك ؟! والجواب عن هذا السؤال من وجهين :**

**الأول : أن الكلام على التقديم والتأخير ، والتقدير : والذين تبوءوا الدار من قبلهم والإيمان .**

**والثاني : أنه على حذف المضاف ، والتقدير : تبوءوا الدار والإيمان من قبل هجرتهم .** (٤)

**أخرج الإمام البخاري بسنده عن عمر ﷺ قال : أوصى الخليفة بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم وأوصى الخليفة بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي ﷺ أن يقبل من محسنهم ويعفى عن مسيئهم .** (٥)

**❁ الوصف الأول للأنصار : " أنهم يحبون المهاجرين إليهم " .**

---

(١) الصميم : الخالص من كل شيء ، يقال : فلان من صميم قومه ، أي : من خالصهم .
(٢) القرطبي ٢٠ / ٣٥٩ .
(٣) نظم الدرر ١٩ / ٤٣٨ وما بعدها .
(٤) مفاتيح الغيب للإمام الرازي ١٥ / ٤٧٨ .
(٥) صحيح البخاري كتاب التفسير ( سورة الحشر ) ٤ / ١٨٥٤ ح رقم ( ٤٦٠٦ ) ط دار ابن كثير .

ويتجلى هذا الوصف في قوله ﷻ : ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ .

❁ المناسبة :

لما ابتدأ الحق ﷻ ذكر الأنصار هذا الابتداء الجليل في قوله : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴾ أخبر عنهم بهذا الثناء وهو أنهم يحبون المهاجرين رضي الله عن جميعهم فقال : ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ . (١)

❁ قوله : ﴿يُحِبُّونَ﴾ .

حقيقة المحبة في الأناسي : إصابةُ حبة القلب . يقال : حببت زيداً أي أصبت حبة قلبه . (٢)

فالمحبة : انفعال نفساني ينشأ عند الشعور بحسن شيء : من صفات ذاتية ، أو إحسان أو اعتقاد أنه يحب المستحسن ويجر إليه الخير .

فإذا حصل ذلك الانفعال ، عقبه ميل وانجذاب إلى الشيء المشعور بمحاسنه ، فيكون المنفعل محباً ، ويكون المشعور بمحاسنه محبوباً ، وتعد الصفات التي أوجبت هذا الانفعال جمالاً عند المحب ، فإذا قوي هذا الانفعال صار تهيجاً نفسانياً ، فسمي عشقاً للذوات وافتناناً بغيرها .

والشعور بالحسن الموجب للمحبة يستمد من الحواس في إدراك المحاسن الذاتية المعروفة بالجمال ، ويستمد أيضاً من التفكر في الكمالات المستدل عليها بالعقل وهي المدعوة بالفضيلة ، ولذا يحب

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٣٩ ، تفسير ابن عطية ١٢ / ٣٧٨ .
(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي مادة : حبب ١ / ٤١٨ .

**الأنصار المهاجرين لما رأوا من تضحيتهم بالمال والديار والأنفس ، فالمهاجرون ضَحُّوا بالغالي والنفيس من أجل إعلاء كلمة الله ﷻ ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وفعل المهاجرون ذلك محبةً لله ولرسوله ﷺ ، كما يحب الناس أهل الفضل الأولين كالأنبياء والحكماء والفاضلين ويحبون سُعاة الخير من الحاضرين وهم لم يلقوهم ولا رأوهم .** (١)

**❁ وجاء التعبير عن محبتهم بالفعل المضارع ﴿يُحِبُّونَ﴾ لإفادة التجدد والاستمرار ، ولاستحضار الصورة في ذهن السامع ، حيث لم تعرف البشريةُ كلها حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين ، وبهذا الحب الكريم وبهذا البذل السخي ، وبهذه المشاركة الرضية ، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء ، حتى ليُروى أنه لم ينْزل مهاجر في دار أنصاري إلا بقرعة لأن عدد الراغبين في الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين .** (٢)

**روى الإمام أحمد عن أنسٍ قال : " قال المهاجرون : يا رسول الله ما رأينا مثل قومٍ قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير لقد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنأ** (٣) **حتى لقد حسبنا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال : لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله ﷻ " .** (٤)

**❁ وجملة ﴿يُحِبُّونَ﴾ في وضع الحال من الموصول .** (٥)

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣ / ٢٢٥ ط دار التونسية للنشر - بتصرف - .
(٢) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٢٦ .
(٣) المهنأ : ما يأتيك بلا تعب . والمعنى : أشركونا في ثمار نخيلهم .
(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرون ٢٠ / ٣٦٠ ، ح رقم ( ٣٠٧٥ ) ط مؤسسة الرسالة .
(٥) روح المعاني للألوسي ١٠ / ٢٨ / ٥٢ .

❁ وفي قوله : ﴿يُحِبُّونَ﴾ كناية عن مواساتهم للمهاجرين وعدم الاستثقال والتبرم منهم إذا احتاجوا إليهم ، وعلى هذا فالمراد لازم المحبة ، وهذا لا يمنع من إرادة المعنى الحقيقي أيضاً ، أي : يحبون المهاجرين إليهم من حيث مهاجرتُهم إليهم لحبهم الإيمان . (١)

❁ وسر محبة الأنصار للمهاجرين : وجود الجنسية في الصفاء ، والموافقة في الدين والإخاء . (٢)

❁ وفي استحضار المهاجرين بطريق الموصول وإسناد فعل الهجرة إلى ضمير الأنصار تنويه بشأنهم ومدحهم بما في حيز الصلة .

ومما زاد الأنصار محبة للمهاجرين وعطفاً عليهم ، التعبير بقوله : ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لأن القصد إلى الإنسان يوجب حقه عليه ، لأنه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد إليه ، والدليل الشهودي على ما أخبر الله عنهم به من المحبة أنهم شاطروا المهاجرين في أموالهم وعرضوا عليهم أن يشاطروهم نساءهم على شدة غيرتهم ، فأبى المهاجرون المشاطرة في النساء وقبلوا منهم الأموال . (٣)

❁ ومن آثار محبة الأنصار للمهاجرين ما يلي :

( ١ ) موقف سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف إذ عرض سعد عليه أن يقاسمه ماله وأن ينْزل له عن إحدى زوجتيه ، وقد أسكنوا

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي ٩ / ١٤١ ، تفسير الألوسي ١٠ / ٢٨ / ٥٢ .
(٢) تفسير القاسمي ١٦ / ٥٧٤١ .
(٣) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٣٩ بتصرف .

**المهاجرين معهم في بيوتهم ومنحوهم من نخيلهم وحسبك الأخوة التي آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار .** [١]

**أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال : " قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلني على السوق ... " .** [٢]

**( ٢ ) موقف الأنصار تجاه المهاجرين من حيث مشاركتهم في ثمار النخيل .**

**أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ﷺ قال : " لما قدِم المهاجرون إلى المدينة من مكة وليس بأيديهم - يعني شيئاً - وكانت الأنصار أهل الأرض والعقار فقاسموهم - الأنصار - على أن يعطوهم ثمار أموالهم كل عام ويكفوهم العمل والمؤنة " .** [٣]

**- أخرج البخاري أيضاً بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال : " قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل . قال : لا . فقالوا : تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا " .** [٤]

**( ٣ ) موقف الأنصار تجاه المهاجرين في مطالبتهم النبي ﷺ أن يقطع للمهاجرين مثل ما قطع للأنصار .**

**أخرج الإمام البخاري بسنده عن يحيى بن سعيد ، سمع أنس بن مالك ﷺ حين خرج معه إلى الوليد قال : " دعا النبي ﷺ أن يقطع لهم**

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٩١ .
(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب : كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه ٣ / ١٤٣٢ ح رقم ( ٣٧٢٢ ) ط دار ابن كثير .
(٣) صحيح البخاري كتاب الهبة وفضلها باب ( ٣٣ ) فضل المنيحة ٢ / ٩٢٦ ح رقم ( ٢٤٨٧ ) ط دار ابن كثير .
(٤) المرجع السابق كتاب المزارعة باب ( ٥ ) - ( إذا قال اكفني مؤنة النخل أو غيره وتشركني في الثمر ) ٢ / ٨١٩ ح رقم ( ٢٢٠٠ ) ط دار ابن كثير .

البحرين ، قالوا : لا . إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها . قال : أما لا ، فاصبروا حتى تلقوني ، فإنه سيصيبكم بعدي أثرة " . [1]

❁ الوصف الثاني للأنصار : " سلامة صدورهم تجاه إخوانهم المهاجرين " .

ويتجلى هذا في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ .

لما أخبر سبحانه عن محبة الأنصار للمهاجرين ، ورغبهم في إدامتها ، عطف على هذا الخبر ما هو من ثمراته فقال : ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ . [2]

❁ قوله : ﴿يَجِدُونَ﴾ .

( تدل الواو والجيم والدال ) على أصل واحد ، وهو الشيء يُلْفيه ، ووجد مطلوبه والشيء يجده وجوداً ، وأوجد الله مطلوبه أي أظفره به . [3]

والمراد بالوجدان هنا : الوجود في الذهن والتصور بأن لا يكون ذلك في أنفسهم لأنها المدركة في الحقيقة ، فالصدور لكونها مقرَّ القلوب التي بها الإدراك جعل ما في العقل ، والإدراك في الصدور

---

(١) المرجع السابق كتاب فضائل الصحابة باب ( ٣٨ ) : ( قول النبي ﷺ للأنصار : اصبروا حتى تلقوني على الحوض ) ٣ / ١٣٨١ ح = = رقم ( ٣٥٨٣ ) ط دار ابن كثير .
(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٣٩ .
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة : وجد ٦ / ٨٦ ط دار الفكر ، لسان العرب لابن منظور مادة : وجد ٣ / ٤٤٥ ط دار صادر .

**مجازاً [1] ، حيث أريد بالوجدان الإدراك العقلي ، وكنى بانتفاء وجدان الحاجة عن انتفاء وجودها ؛ لأنها لو كانت موجودة لأدركوها في نفوسهم . [2]**

**والتعبير بالفعل المضارع ﴿يَجِدُونَ﴾ يفيد التجدد والحدوث ، وفي ذلك إشارةٌ إلى أن هذه الصفة أمر متجدد متكرر ، وليس مرة واحدة فريدة غير مكررة .**

**❁ قوله : ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ .**

**الصدور : جمع الصدر والمراد بها هنا الجارحة ، قال الله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [3] ، [4] والصدور مراد بها هنا النفوس . [5]**

---

(١) حاشية الشهاب ٩ / ١٤٢ ، التحرير والتنوير ٢٨ / ٩٣ .
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٩٢ .
(٣) سورة طه آية ( ٢٥ ) .
(٤) المفردات للراغب مادة : صدر ٢ / ٢٧٦ .
(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٩٢ .

❁ قوله : ﴿حَاجَةً﴾ .

الحاجة : في الأصل : اسم مصدر الحَوْج وهو الاحتياج ، أي الافتقار إلى شيء [١] ، واختلف المفسرون في المراد بها هنا على قولين :

الأول : الحاجة : ما تحمل عليه الحاجة كالطلب [٢] ، والحزازة [٣] ، والحسد [٤] والغيظ . [٥]

وعلى هذا القول ففي إطلاق لفظ الحاجة على ما تدعو إليه الحاجة كالطلب ، والحزازة ، والحسد والغيظ ، مجاز مرسل علاقته السببية حيث ذكر المسبب وأراد السبب .

قال الشهاب الخفاجي : ( فالحاجة هنا مجاز عما يتسبب عنها مما ذكر ) . [٦]

وقيل : ذلك على وجه الكناية حيث أطلق لفظ الحاجة على الغيظ والحسد والحزازة لأن هذه الأشياء لا تنفك عن الحاجة ، فأطلق اسم اللازم على الملزوم على سبيل الكناية [٧] ؛ لأن الحزازة والغيظ والحسد تنشأ عن الحاجة . [٨]

---

(١) المرجع السابق ١٣ / ٢٨ / ٩٢ .
(٢) الطلب : طلب ما يشق عليهم .
(٣) الحزازة بمعجمتين بعد الحاء المهملة المفتوحة أصله مرض في القلب ، ويكنى به عما يضمره الإنسان من الغيظ ، والعداوة .
(٤) الحسد : زوال النعمة والغبطة تمني مثلها من غير أن تزول .
(٥) تفسير البيضاوي ٥ / ٣٢٠ .
(٦) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٩ / ١٤٢ .
(٧) مفاتيح الغيب للإمام الرازي ١٥ / ٤٧٩ .
(٨) حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ٤ / ٤٧٥ .

وعلى هذا الرأي تكون ﴿مِنْ﴾في قوله : ﴿مِّمَّآأُوتُوا﴾ تعليلية [1] .

الثاني : أن المراد بالحاجة : المحتاج إليه ، وبينه شيوع الاستعمال [2] ، أي : ما يحتاج إليه مما أوتي المهاجرون من الفيء وغيره ، والمحتاج إليه يسمى حاجة ، يقال : خذ منه حاجتك ، وأعطاه من ماله حاجته ، يعني أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح إلى شيء منه يحتاج إليه . [3]

وعلى هذا القول ففي إطلاق الحاجة على الأمر المُحتاج إليه من إطلاق المصدر على اسم المفعول مجاز مرسل علاقته التعلق الاشتقاقي [4] ، وعلى هذا تكون ﴿مِنْ﴾في قوله : ﴿مِّمَّآأُوتُوا﴾ بيانية أو تبعيضية . [5]

وعلى هذا ففي الكلام مضاف محذوف والتقدير : ( لا يعلمون في أنفسهم طلب ما أوتي المهاجرون مما يحتاج إليه الأنصار ) .

❁ وفي حذف المضاف فائدة جليلة كأنهم لم يقصدوا ذلك ولا مرَّ في خاطرهم أن ذلك محتاج إليه حتى تطمح النفس إليه .

❁ وهذا الوجه الثاني أبلغ وأنسب بالمقام ، وأوفق لسبب النُزول . [6]

❁ وفي حذف متعلق ﴿حَاجَةً﴾ دليل على انتفاء أسبابها ، والتقدير : ( ولا يجدون في نفوسهم حاجة لشيء أوتيه المهاجرون ) [1] .

---

(١) حاشية الشهاب ٩ / ١٤٢ .
(٢) المرجع السابق ٩ / ١٤٢ .
(٣) الكشاف ٤ / ٥٠٥ .
(٤) التحرير والتنوير ١٣ / ٢٨ / ٩٢ .
(٥) حاشية الشهاب ٩ / ١٤٢ .
(٦) حاشية الشهاب ٩ / ١٤٢ .

❁ قوله : ﴿أُوتُوا﴾ .

الإيتاء يعبر به عن الإعطاء [٢] ، أي : أعطوا .

وفيما أوتوه قولان :

أحدهما : مال الفيء ، وذلك أن النبي ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ، ولم يعطِ من الأنصار غير ثلاثة نفر .

أخرج الإمام الطبري بسنده عن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه أنه حدَّث أن بني النضير خلَّوا الأموال لرسول الله ﷺ فكانت النضير لرسول الله ﷺ خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حُنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقراً ، فأعطاهما رسول الله ﷺ . [٣]

الثاني : الفضل والتقدم . [٤]

❁ وفي قوله : ﴿أُوتُوا﴾ إيجاز بحذف الفاعل والتقدير : آتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختص به . [٥]

❁ وضمير ﴿صُدُورِهِمْ﴾ عائد إلى ﴿مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ ؛ لأن من هاجر جماعة من المهاجرين فرُوعِيَ في ضميره معنى ﴿مَنْ﴾ دون

---

(١) التحرير والتنوير ١٣ / ٢٨ / ٩٢ .
(٢) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي مادة : أتى ١ / ٥٧ .
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ١٤ / ٢٨ / ٥٤ أثر رقم ( ٢٦٢٤٢ ) .
(٤) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٧ / ٣٣٨ .
(٥) حاشية الصاوي على الجلالين ٢ / ٤ / ١٦١ .

لفظها ، وهذان الضميران وإن كانا ضميري غيبة وكانا مقتربين فالسامع يرد كل ضميرٍ إلى معاده بحسب السياق . [1]

وفي جَعْلِ قوله تعالى : ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ كناية عن قطع الطمع ، إشارة إلى قطع ذلك الغريزي من سننه قطعاً لو تكلف التماس آية حاجة كانت ، وأوجد لها أثراً ، وفي تتميمه بقوله : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ بلوغ إلى الدرجة العليا في الحرية والفتوة ، أي : قطعوا الطمع إشارة إلى قلع ذلك عما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم بما ملكوا . [2]

والمعنى : ولا يجد الأنصار في صدورهم شيئاً من الضيق ، أو الألم أو الغيرة أو الحسد ، لما أخذ المهاجرون من الغنائم فقد جعل الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - مما أفاءه الله عليه من تلك الغنائم ، جعلها في فقراء المهاجرين ، ولم يعطِ الأنصار منها شيئاً ، إلا ثلاثة نفر منهم ، كانوا على حالٍ ظاهرةٍ من الفقر ... وبهذا العطاء الذي ناله المهاجرون خَفَّ العبءُ عن الأنصار الذين كانوا يقاسمون إخوانهم المهاجرين ديارهم وأموالهم . [3]

❁ الوصف الثالث للأنصار : " الإيثار على أنفسهم مع الحاجة " .

ويتجلى هذا الوصف في قوله ﷻ : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ .

❁ سبب النزول :

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٩٢ .
(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيبي ١٥ / ٣٣٢ .
(٣) التفسير القرآني عبد الكريم الخطيب ١٤ / ٨٦ .

أخرج الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رَجُلاً أتَى النَّبيَّ ﷺ فَبَعَثَ إلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ : مَا مَعَنَا إلاَّ الْمَاءُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ يَضُمُّ أوْ يُضِيفُ هَذَا " فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأنْصَار : أنَا ، فَانْطَلَقَ بِهِ إلَى امْرَأتِهِ فَقَالَ : ( أكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إلاَّ قُوتُ صِبْيَانِي ، فَقَالَ : هَيِّئِي طَعَامَكِ وَأصْبِحِي سِرَاجَكِ وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إذَا أرَادُوا عَشَاءً فَهَيَّأتْ طَعَامَهَا وَأصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ثُمَّ قامَتْ كَأنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأطْفَأتْهُ فَجَعَلا يُرِيَانِهِ أنَّهُمَا يَأكُلان ، فَبَاتَا طاوِيَيْن فَلَمَّا أصْبَحَ غَدَا إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : "ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا " ، فَأنْزَلَ اللَّهُ تعالى :

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1] . [2]

وذكر المفسرون أسباباً أخرى من إيثار الأنصار للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع الضيف ، ثم ذكروا أن الآية نزلت في ذلك الإيثار ، والصحيح أنها نزلت بسبب إيثارهم المهاجرين بالفيء ، ثم لا يمنع أن يدخل فيها سائر الإيثار . [3]

❁ **المناسبة :**

لما أخبر ﷻ عن تخليهم عن الرذائل أتبعه الإخبار بتحليهم بالفضائل فقال ﷻ : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾ .

❁ قوله ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ : الإيثار لغة مأخوذ من :

---

(١) صحيح البخاري . كتاب الصحابة . باب ( ٤٠ ) قول الله ﷻ : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ٣ / ١٣٨٢ . حديث رقم ( ٣٥٨٧ ) .
(٢) الصحيح المسند من أسباب النُزول تأليف / مقبل بن هادي الوادعي صـ ١٥٢ ط دار الأرقم .
(٣) مفاتيح الغيب للإمام الرازي ١٥ / ٤٧٩ .

**الأثرة بفتح الهمزة والثاء والراء ، وضبطه بعضهم بضم الهمزة وإسكان الثاء ، والأول أشهر ومعناه : الاستئثار وهو أن يستأثر عليكم بأمور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم في الأمر نصيبًا . أي : يوقعون الإثرة وهي اختيار الأشياء الحسنة لغيرهم تخصيصاً لهم بها لا على أحبائهم ، فيبذلون لغيرهم من كان ما في أيديهم .** (١)

**وقيل : هو من آثر إذا أعطى ، أرد أنه يستأثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الفيء والاستئثار الانفراد بالشيء ، أي : يفضلون غيرهم على أنفسهم .** (٢)

**وقيل : الأثرة : الشدة ، والأول أظهر .** (٣)

**والإيثار : تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وغاية المحبة والصبر على المشقة .** (٤)

**وقيل : الإيثار : ترجيح شيء على غيره بمكرمة أو منفعة .** (٥)

**وقيل : الإيثار : هو تقديم حاجة الغير على حاجة النفس ، سخاءً وتفضلاً وهذا لا يكون إلا من نفوسٍ مهيأة للتضحية .**

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٤٠ .
(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي مادة : أثر ١ / ٦٣ ط عالم الكتب .
(٣) تفسير الخازن ٤ / ٢٤٩ .
(٤) حاشية الصاوي على الجلالين ٢ / ٤ / ١٦١ ، أحكام القرآن لأبي بكر بن عبد الله المعروف بابن العربي تحقيق علي محمد البجاوي ٤ / ١٧٧٧ ط دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .
(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٩٣ .

**ومفعول ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾: محذوف أي : يؤثرونهم ويخصونهم بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم [1] ، أي : أن هؤلاء الأنصار من طبيعتهم السماحة ، والبذل ، وإيثار إخوانهم المهاجرين على أنفسهم ، والنُزول لهم عن الطيب الأكثر مما في أيديهم ، مع حاجتهم إليه ... وهذا هو الفضل على تمامه وكماله . [2]**

**والتعبير بالفعل المضارع ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ يفيد التجدد والحدوث ، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ إيثار الأنصار للمهاجرين أمر متجدد متكرر ، وليس مرة واحدة فريدة غير متكررة .**

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٦ / ٢٨٥ .
(٢) التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ١٤ / ٨٦ ط دار الفكر .

❁ قوله ﴿خَصَاصَةٌ﴾ :

قيل : أصله من خصاص البيت وهي فرجة عن المفسدة ، فعبر عن الفقر بالخصاصة كما عُبر عنه بالخلة . والخصُ : بيت من قصب أو شجر لما يرى فيه من الخصاصة . (١)

وقيل : من الاختصاص ، وهو الانفراد بالأمر .

فالخصاصة الانفراد بالحاجة ، أي : ولو كان بهم فاقة وحاجة . (٢)

إذن فالخصاصة : مصدر وهي اسم أيضاً ، وتطلق على كل ما يتخلله الإنسان ببصره كالكوة والفرجة في الحائط ، وتجمع على خصاصات وخِصاص . (٣)

والخصاصة : شدة الاحتياج . (٤)

- قال ابن عطية : الخصاصة : الفاقة والحاجة ، فكأن حال الفقير هي كذلك يتخللها النقص والاحتياج . (٥)

ففي إطلاق الخصاصة على شدة الاحتياج مجاز بالاستعارة ، حيث شبَّه حالة الفقر والحاجة بفرج البناء في اشتمال كل واحدة منهما على معنى النقصان والاحتياج إلى المُصلح (٦) ، ثم حذف المشبه به واستعير المشبه للمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية .

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي مادة : خصص ١ / ٥٨٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٢٠ / ٣٦٩ .
(٣) تفسير الطبري ١٤ / ٢٨ / ٥٥ .
(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣ / ٢٨ / ١٩٣ .
(٥) تفسير ابن عطية ١٤ / ٣٨٠ .
(٦) حاشية محي الدين شيخ زادة ٤ / ٤٧٦ .

وتكمن بلاغة الاستعارة في تشبيه حالة الفقر بخِصاص البيت بأن الفقر يحيط به من كل جانب كما يتخلل البيت الفروج من كل جانب .

❁ وقيل في قوله : ﴿خَصَاصَةٌ﴾ كناية عن الاحتياج ثم صار حقيقة فيه . (١)

❁ وجملة ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ في موضع الحال ، والواو واو الحال ، أي : مفروضة خصاصتهم. (٢)

❁ ﴿لَوْ﴾ : وصلية وهي التي تدل على مجرد تعليق جوابها بشرط يفيد حالة لا يُظنُّ حصول الجواب عند حصولها . والتقدير : لو كان بهم خصاصة لآثروا على أنفسهم فيعلم أن إيثارهم في الأموال التي دون ذلك بالأحرى دون إفادة الامتناع . (٣)

❁ وتذكير فعل ﴿كَانَ﴾ لأجل كون تأنيث الخصاصة ليس حقيقاً ، ولأنه فصل بين كان واسمها بالمجرور .

❁ والباء في قوله ﴿بِهِمْ﴾ للملابسة . (٤)

والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال ، وإن عاد إلى النفس . (٥)

ومن الأمثال السائرة : والجود بالنفس أقصى غاية الجود . (١)

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي ٩ / ١٤٢ .
(٢) الكشاف ٤ / ٥٠٥ .
(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٩٤ .
(٤) المرجع السابق ١٣ / ٢٨ / ٩٤ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٢٠ / ٣٦٨ .

وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾ [٣] فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة إليه وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه ، ومن هذا المقام تصدق الصديق ﷺ بجميع ماله فقال له رسول الله ﷺ : " مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ ؟ " فقال : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ . [٤]

فالإيثار على النفس مع الحاجة قمة عُليا ، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظير . وكانوا كذلك في كل مرة وفي كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديماً وحديثاً . [٥]

❁ وفي مجيء حرف ﴿ عَلَىٰ ﴾ - الذي يفيد الاستعلاء الحسي - إيماء إلى أن الأنصار قد تمكنوا من هضم حظوظ أنفسهم وقدروا على الاستعلاء عليها ، ومن هنا فقد آثروا إخوانهم المهاجرين على أنفسهم ، ولا يقوى على ذلك إلا من غلب نفسه وتمكن منها وانتصر عليها . [٦]

---

(١) المثل عجز بيت لمسلم بن الوليد ، ذكره العسكري في جمهرة الأمثال ١ / ٩٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطامش ، وصدره : يجود بالنفس إذا ضنَّ الجواد بها .
(٢) سورة الإنسان آية : ( ٨ ) .
(٣) سورة البقرة آية : ( ١٧٧ ) .
(٤) تفسير ابن كثير ٨ / ٩٦ وما بعدها .
(٥) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٢٦ .
(٦) مقال بعنوان ( الإيثار من أخلاق الإسلام ) أ . د / رضا عبد المجيد المتولي صـ ٩٦ مجلة الرابطة شهر رجب ١٤٢٩ هـ عدد ٥٠٦ .

**ومن ثم قال الإمام البقاعي : ( وذكر النفس دليل على أنهم في غاية النَّزاهة من الرذائل ، لأن النفس إذا طهرت كان القلب أطهر ) .** (١)

**❁ نماذج حية من إيثار الأنصار :**

**مما لا شك فيه أن حياة الأنصار رضي الله عنهم مليئة بكثير من صور الإيثار ، وذلك ليعلموا الإنسانية هذه الصفة ويحذروها من عواقب الأثرة والأنانية ، فقد آثروا المهاجرين على أنفسهم مع عوزهم واحتياجهم ، فالأنصار يقدمون المحاويج على حاجة انفسهم ، ويبدأون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك . وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : " أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ " .** (٢)

**وتتنوع نماذج إيثار الأنصار للمهاجرين إلى نوعين :**

**الأول : إيثار جماعي ومن ذلك ما روي في الصحيح أن النبي ﷺ دعا الأنصار ليقطع لهم قطائع بنخل البحرين . فقالوا : لا إلا أن تقطع لإخواننا المهاجرين مثلها .** (٣)

**الثاني : إيثار الواحد منهم على غيره ومن ذلك :**

**( ١ ) إيثار سعد بن الربيع عبد الرحمن بن عوف على نفسه :**

**هذه صورة فريدة من صور الإيثار في الإسلام فمن السهل أن يؤثر الإنسان غيره على نفسه بمالٍ أو عقارٍ أو طعامٍ أو نحوه ، لكن**

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٤٠ .
(٢) المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم النيسابوري تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، كتاب الزكاة ١ / ٥٧٤ ح رقم ( ١٥٠٩ ) وعلق عليه الحاكم بقوله : ( هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ) . ط دار الكتب العلمية .
(٣) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب ( ٨ ) قول النبي ﷺ للأنصار : " اصبروا حتى تلقوني على الحوض " ٣ / ١٣٨١ ح رقم ( ٣٥٨٣ ) ط دار ابن كثير .

من الصعب جداً أن يؤثر الإنسان غيره على نفسه بزوجته ، وهذا مما يشبه المستحيل ، لكنه قد وقع من سعد بن الربيع لأخيه عبد الرحمن بن عوف .

أخرج البخاري بسنده عن أنس بن مالك قال : قدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَآخَى النبي ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبيعِ الأنْصَارِيّ ، وَعِنْدَ الأنْصَارِيّ امْرَأتَانِ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أنْ يُنَاصِفَهُ أهْلَهُ وَمَالَهُ ، فَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أهْلِكَ وَمَالِكَ ، دُلُّونِي عَلَى السُّوق ، فَأتَى السُّوقَ فَرَبحَ شَيْئًا مِنْ أقِطٍ وَسَمْنٍ . (١)

وجاء في البخاري في فضائل الأنصار : أنَّ سَعْدِ بْنِ الرَّبيعِ قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ : انْظُرْ أعْجَبَهُمَا إلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أطَلِّقْهَا ، فَإذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا . (٢)

( ٢ ) إيثار الأنصاري ضيفه على نفسه وأهله :

أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال : أتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أصَابَنِي الْجَهْدُ ، فَأرْسَلَ إلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا ، فَقَالَ : " ألا رَجُلٌ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ يَرْحَمْهُ الله ؟ " . فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ فَقَالَ : أنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، فَذَهَبَ إلَى أهْلِهِ ، فَقَالَ لِامْرَأتِهِ : ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إلا قُوتُ الصِّبْيَةِ ، قَالَ : فَإذَا أرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ ، وَتَعَالَيْ فَأطْفِئِي السِّرَاجَ فَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ ، فَفَعَلَتْ ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ :

---

(١) صحيح البخاري كتاب النكاح باب ( ٣ ) قول الرجل لأخيه انظر أي زوجتي شئت حتى أنزل لك عنها ٥ / ١٩٥٢ ح رقم ( ٤٧٨٥ ) ط دار ابن كثير .
(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب ( ٣٣ ) ( إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ) ٣ / ١٣٧٨ ح رقم ( ٣٥٦٩ ) ط دار ابن كثير .

" لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ اللَّهُ مِنْ فُلانٍ وَفُلانَة " ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾ . [1]

( ٣ ) إيثار بعض الأنصار بعضهم على بعض برأس شاة :

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : أَهْدِيَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَ شَاةٍ ، فَقَالَ : إِنَّ أَخِي فُلانًا وَعِيَالَهُ أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنَّا ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ بِهِ وَاحِدًا إِلَى آخَرَ حَتَّى تَدَاوَلَهُ سَبْعَةُ أَهْلِ أَبْيَاتٍ ، حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الأَوَّلِ ، قَالَ : فَنَزَلَتْ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾ [2]. ولا مانع من تعدد سبب النُزول ، والمنَزل واحد .

( ٤ ) إيثار عكرمة أصحابه يوم اليرموك :

ومن الإيثار : هذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك ، فكُل منهم يأمر بدفعه إلى أصحابه ، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء ، فرده الآخر إلى الثالث ، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم .

وتفصيل هذه القصة ما جاء عن حذيفة العدوي قال : " انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمٍّ لِي ، وَمَعِي شَنَّةٌ مِنْ مَاءٍ ، فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ مِنَ الْمَاءِ ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشَغُ [3] , فَقُلْتُ لَهُ : أَسْقِيكَ ؟ فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ ، فَإِذَا رَجُلٌ , يَقُولُ : آهِ ، فَأَشَارَ ابْنُ

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير ( سورة الحشر ) ٤ / ١٨٥٤ ح رقم ( ٤٦٠٧ ) ط دار ابن كثير .
(٢) المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الحشر ٢ / ٥٢٦ ح رقم ( ٣٧٩٩ ) وعلق عليه الحاكم بقوله : ( هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ) ط دار الكتب العلمية .
(٣) النشغات عند الموت : قُوَّات . ( النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥ / ١٣٢ . ط المكتبة العلمية – بيروت ) .

عَمِّي أن انْطَلِقْ بهِ إلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاص أخُو عَمْرو بْن الْعَاص ، فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : أسْقِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ , يَقُولُ : آهِ ، فَأَشَارَ هِشَامٌ أن انْطَلِقْ بهِ إلَيْهِ ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إلَى هِشَامٍ ، فَإِذَا هُوَ قدْ مَاتَ ، ثُمَّ أتَيْتُ ابْنَ عَمِّي ، فَإِذَا هُوَ قدْ مَاتَ ! " . (١)

**( ٤ ) إيثار امرأة من الأنصار رسول الله ﷺ على أهلها :**

**خلق الإيثار ليس حبيساً على الرجال فقط ، وإنما تخلق به النساء أيضاً ، ومن نماذج إيثار النساء لرسول الله ﷺ :**

أنَّ امْرَأةً مِنْ الأنْصَار مِنْ بَنِي دُبْيَان ، قدْ أصِيبَ زَوْجُهَا وَأخُوهَا وَأبُوهَا يَوْمَ أحُدٍ ، فَلَمَّا نَعَوْا لَهَا قالَتْ : فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ . قالُوا : خَيْرًا يَا أمَّ فُلانٍ ، قالَتْ : أرُونِيهِ حَتَّى أنْظُرَ إلَيْهِ ، قالَ : فَأشِيرَ لَهَا إلَيْهِ حَتَّى إذَا رَأتْهُ قالَتْ : كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ " . (٢)

**❁ الوصف الرابع للأنصار : " أنهم قد وُقُوا شح أنفسهم " .**

**ويتجلى هذا الوصف في قوله تعالى : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ .**

**لما بين سبحانه سلامة صدور الأنصار تجاه إخوانهم المهاجرين وخلوها من الحسد والغيظ وبيَّن طهارة قلوبهم وأنهم يبذلون ما كان في أيديهم وأكد ذلك بقوله : ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ...﴾ ومن كان كذلك فهو من الصادقين ، بين هنا نزاهتهم عن الرذيلة وخلوهم عنها من أي جهةٍ كانت ، وبين أن علاجها صعب جداً لا**

---

(١) شعب الإيمان تأليف : أبي بكر احمد بن الحسين البيهقي ، فصل ( ما جاء في الإيثار ) ٣ / ٢٦٠ ح رقم ( ٣٤٨٣ ) ط دار الكتب العلمية .
(٢) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة تأليف : أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق : عبد المعطي قلعجي ٣ / ٣٠٢ ح رقم ( ١١٩٠ ) ط دار الكتب العلمية بيروت .

يطيقه الإنسان إلا بمعونة من الله تعالى فقال : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ .

❁ قوله : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ( مَنْ ) شرطية ، و ( يُوقَ ) فعل الشرط ، وقوله : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ جزاؤه ، وهو كلام عام قصد به التنبيه على ذم الشح .[1]

❁ قوله : ﴿يُوقَ﴾ .

مأخوذ من وقى يقي ، والوقاية : فرط الصيانة ، وقيل : حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره ، والتوقي : جعل النفس في وقاية مما يخاف .[2]

أي : يحصل بينه وبين أخلاقه الذميمة المشار إليها بالنفس وقاية تحُول بينه وبينها فلا يكون مانعاً لما عنده ، حريصاً على ما عند غيره حسداً .[3]

❁ وأفرد ﴿يُوقَ﴾ مراعاة للفظ ﴿مَنْ﴾ ثم جمع في قوله ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ مراعاة لمعنى ﴿مَنْ﴾ وفي ذلك إيماء إلى قلة المتصفين بذلك في الواقع عدداً وكثرتهم معنى .[4]

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين ٢ / ٤ / ١٦٢ .
(٢) عمد الحفاظ للسمين الحلبي مادة : وقى ٤ / ٣٨٤ .
(٣) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٤٠ .
(٤) حاشية الشهاب الخفاجي ٩ / ١٤٢ .

**۞ سر بناء ﴿يُوَقَ﴾ للمفعول : بيان أن التنَزه عن الرذيلة وعلاجها أمر صعب جداً ، لا يطيقه الإنسان إلا بمعونة من الله شديدة** [1] .

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٤٠ بتصرف .

❁ سر التعبير بلفظ الوقاية :

وفي التعبير عن السلامة من شح النفس وبخلها وحرصها ، بلفظ الوقاية منه - للإشارة إلى أن الشح عدو واحد ، يتربص بالنفس الإنسانية في أية لحظة يغفل فيها الإنسان عن حراسة نفسه منه ، فإذا غفل الإنسان عن هذا العدو دخل على نفسه واستولى عليها . [١]

❁ قوله : ﴿شُحَّ﴾ .

الشح في اللغة : البخل مع الحرص . [٢]

فالشح : اللؤم ، وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع . [٣]

وقيل : الشح هنا : أكل أموال الناس بغير حق ، قاله ابن مسعود رضي الله عنه . [٤]

وقيل : الشح هنا : الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة ذوي الأرحام والضيافة وما شاكل ذلك ، فليس بشحيح ولا بخيل من أنفق في ذلك ، وإن أمسك عن نفسه ، ومن وسَّع على نفسه ولم ينفق فيما ذكرناه من الزكوات والطاعات ، لم يوق شح نفسه . [٥]

وروى الأسود عن ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكْتُ ! قَالَ : " وَمَا ذَاكَ ؟ " قَالَ : سَمِعْتُ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ : ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ وَأَنَا رَجُلٌ

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب ٤ / ٨٦٢ .
(٢) المفردات للراغب مادة : شح ٢ / ٢٥٦ .
(٣) تفسير الكشاف ٤ / ٥٠٥ .
(٤) جامع البيان للإمام الطبري ١٤ / ٢٨ / ٥٦ أثر رقم ( ٢٦٢٤٧ ) .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ٢٠ / ٣٧٠ .

**شَحِيحٌ لا أَكَادُ أُخْرِجُ مِنْ يَدِي شَيْئاً ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : " لَيْسَ ذَلِكَ بِالشُّحِّ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ ، إِنَّمَا الشُّحُّ أَنْ تَأْكُلَ مَالَ أَخِيكَ ظُلْمًا ، وَلَكِنْ ذَلِكَ الْبُخْلُ ، وَبِئْسَ الشَّيْءُ الْبُخْلُ . [١]**

**الفرق بين الشح والبخل :**

**الفرق بين البخل والشح عَسِرٌ جداً ، فالشح : اللؤم ، وهو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع [٢] ، وهو غريزة ، وأن البخل : المنع نفسه ، فهو أعم ، لأنه قد يوجد البخل ولا شح ثمة ، ولا ينعكس . [٣]**

**فالبخل أثر الشح وهو أن يمنع أحد ما يُراد منه بذله . [٤]**

**❁ وأضيف الشح إلى النفس لأنه غريزة فيها لا تسلم منها نفس . [٥]**

**❁ ومعنى ( شح النفس ) هو كثرة طمعها وضبطها على المال والرغبة فيه وامتداد الأمل ، هذا جماع شح النفس ، وهو داعية كل خلق سوء . [٦]**

**قال رسول الله ﷺ : " ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الشُّحِّ : مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ ، وَقَرَّى الضَّيْفَ ، وَأَعْطَى فِي النَّوَائِبِ " . [٧]**

---

(١) أخرج نحوه الإمام الحاكم في المستدرك كتاب التفسير ، تفسير سورة التغابن ، ٢ / ٥٣٢ ح رقم ( ٣٨١٥ ) وقال : ( هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي على ذلك ) .
(٢) تفسير الخازن ٤ / ٢٤٩ .
(٣) حاشية الطيبي ١٥ / ٣٣٠ .
(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢١٧ / ٩٤ .
(٥) البحر المحيط لأبي حيان ١٠ / ١٤٣ .
(٦) تفسير ابن عطية ١٢ / ٣٨٠ .
(٧) المعجم الصغير للطبراني ١ / ٩٤ ح رقم ( ١٢٦ ) ط المكتب الإسلامي .

❁ وفي قوله ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ تذييل من قبيل الاعتراض في آخر الكلام على الرأي الصحيح وله فائدتان :

الأولى : مدح للأنصار بما هو في الغاية لتناوله له إياهم تناولاً أولياً [١] ، حيث ورد هذا الوصف للمؤمنين عامة في قوله تعالى : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ . [٢]

الثانية : إشارة إلى أن إيثارهم على أنفسهم حتى في حالة الخصاصة هو سلامة من شح الأنفس فكانه قيل لسلامتهم من شح الأنفس ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ . [٣]

والمعنى : ومن يوق بتوفيق الله ومعونته شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق ، فأولئك هم الناجون من كل مكروه . [٤]

❁ ويفهم من الآية ذم الشح جداً ، وقد وردت أخبار كثيرة بذمه منها :

( ١ ) أخرج الإمام الحاكم بسنده عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " لا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ اجْتِمَاعًا يَضُرُّ أَحَدُهُمَا مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ الْمُسْلِمُ وَقَارَبَ , وَلاَ يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ عَبْدٍ

---

(١) تفسير الألوسي ٧ / ٢٨ / ٥٣ .
(٢) سورة التغابن آية : ( ١٦ ) .
(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٩٤ .
(٤) تفسير الألوسي ١٠ / ٢٨ / ٥٣ .

**غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ , وَلاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الإِيمَانُ وَالشُّحُّ " .** (١)

**( ٢ ) أخرج الإمام البخاري في الأدب عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ " .** (٢)

**( ٣ ) أخرج الإمام الطبراني بسنده عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما يرفعه قال : " خَلَقَ اللَّه جَنَّة عَدْن بيَدِهِ وَدَلَّى فِيهَا ثِمَارَهَا وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ تَكَلَّمِي فَقَالَتْ : " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ " فَقَالَ : وَعِزَّتِي وَجَلالِي لا يُجَاورنِي فِيك بَخِيل " .** (٣)

**( ٤ ) أخرج الإمام مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ " .** (٤)

**واتقاء الشح لا يتوقف على أن يكون الرجل جواداً بكل شيء ، أخرج الإمام الطبراني بسنده عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال : " ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الشُّحِّ : مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ ، وَقَرَّى الضَّيْفَ ، وَأَعْطَى فِي النَّوَائِبِ " .** (٥)

---

(١) المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم ، كتاب الجهاد ٢ / ٢٨ / ٢٣٩٤ وعلق عليه الحاكم بقوله : ( هذا = = حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ) .
(٢) الأدب المفرد للإمام البخاري ١ / ١٠٦ ح رقم ( ٢٨٢ ) باب الشح ط دار البشائر الإسلامية - بيروت .
(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٥ / ٣٤٩ ح رقم ( ٥٥١٨ ) ط دار الحرمين .
(٤) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ٨ / ١١٨ ح رقم ( ٦٧٤١ ) ط دار الجيل - بيروت .
(٥) المعجم الصغير للطبراني ١ / ٩٤ ح رقم ( ١٢٦ ) ط المكتب الإسلامي .

قال ابن زيد : من لم يأخذ شيئاً نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئاً أمره الله بإعطائه فقد وقي شح نفسه . [1]

❁ الوصف الخامس للأنصار : " أنهم هم المفلحون " .

ويتجلى هذا الوصف في قوله تعالى : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

❁ اسم الإشارة متوجه إلى الأنصار الذين أجرى عليهم من الصفات ما تقدم ، والإشارة إليهم باسم الإشارة الموضوع للبعيد مع قرب المشار إليهم لتعظيم هذا الصنف من الناس [2] ، وبيان العلو في المنْزلة [3] ، والرتبة في الأخلاق الفاضلة .

❁ سر التعبير بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ :

وجاء التعبير بضمير الفصل ﴿هُمُ﴾ لإفادة القصر للمبالغة لكثرة الفلاح الذي يترتب على وقاية شح النفس حتى كأن جنس المفلح مقصور على ذلك المُوقى . [4]

وأشار إلى هذا السر الإمام البقاعي من طرفٍ خفي فقال : ﴿هُمُ﴾ أي : خاصة لا غيرهم . [5]

❁ قوله : ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازي ١٥ / ٤٧٩ .
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٩٥ .
(٣) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٤١ .
(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٩٥.
(٥) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٤١ .

**والتعريف في المفلحون ( للكمال ) أي : الكاملون في الفوز بكل مراده .** [1]

**والفلاح : الفوز وصلاح الحال ، فيكون في أحوال الدنيا والآخرة .**

**والمراد به في اصطلاح الدين : الفوز بالنجاة من العذاب في الآخرة .** [2]

**قال الزمخشري : وفي ذكر اسم الإشارة وتعريف المفلحين ، وتوسيط ضمير الفصل بينه وبين أولئك ، ليبصرك بمراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا .** [3]

**❁ والمعنى العام للآية الكريمة .**

**لما قدِم المهاجرون على الأنصار قسموا دورهم وأموالهم بينهم وبينهم ، فلما أفاء الله على رسوله ﷺ أموال بني النضير خطب النبي ﷺ فذكر ما خصوا به المهاجرين من إنزالهم إياهم وإثرتهم على أنفسهم ، ثم قال : إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم ، فقال السعدان رضي الله عنهما : بل يقسم بين المهاجرين خاصة ويكونون في دورنا كما كانوا ، وقالت الأنصار : رضينا وسلمنا ، وقال رسول الله ﷺ : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وقال أبو بكر الصديق ﷺ : جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار فأولئك هم الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل ، فهم لعمري الحقيقون**

---

(١) المرجع السابق ١٩ / ٤٤١ .
(٢) التحرير والتنوير ١ / ٢٤٧ ط دار سحنون .
(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ١ / ٦٨ ط دار إحياء التراث العربي ، تفسير البيضاوي ٥ / ٣٢٠.

**باسم إخوان الصفا ، وخلان المروءة والوفا ، والكرامة والاصطفا ، ورضي الله عنهم وعن تابعيهم من الكرام والسادة الحنفا .** [1]

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي ١٩ / ٤٤١ وما بعدها .

## المبحث الثالث

## " حقوق الصحابة وواجبنا نحوهم "

قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ .

لما أثنى الله ﷻ على المهاجرين والأنصار ﷺ بما هم أهله عقب التابعين لهم بإحسان بالثناء فقال مستأنفاً لمدح التابعين لهم بتلك الأخلاق الفاضلة والخصال الكريمة [1] : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ... ﴾ فيكون قوله ﷻ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو ﴾ : مرفوع المحل على الابتداء ، وقوله ﷻ : ﴿يَقُولُونَ ﴾ خبره . [2]

وقيل : الآية معطوفة على الآية السابقة : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ والتي هي معطوفة على قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ أي : كما أن المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله - هم الصادقون في إيمانهم ، فكذلك مثلهم في صدق الإيمان ، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، وهم الأنصار . وكذلك مثل هؤلاء وأولئك الذين جاءوا من بعدهم من المؤمنين ، وسلكوا سبيلهم ، وامتلأت قلوبهم بهذه العواطف والمشاعر من الحب والإخاء والمودة للمؤمنين جميعاً .. وأنه إذا كانت هجرة المهاجرين إلى الأنصار قد جمعت بين

---

(١) تفسير القاسمي ١٦ / ٥٧٤٤ .
(٢) شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٦ / ٤٧٦ .

**المهاجرين والأنصار على الحب والمودة والإخاء ، فجعلت منهم تلك الهجرة أسرة واحدة ، يقتسم أفرادها السراء والضراء فيما بينهم - إذا كانت الهجرة قد عقدت بين المؤمنين هذا العقد الموثق - فإنه ليس من الضروري أن تكون هناك هجرة كتلك الهجرة ، حتى ينتظم المؤمن في هذا العقد ، ويأخذ مكانه فيه ، بل إنه ومن الممكن دائماً وفي أي زمان ومكان ، أن يهاجر المؤمن بقلبه ومشاعره إلى إخوانه المؤمنين ، وإنه لمن الممكن دائماً وفي كل زمانٍ ومكان ، أن يجعل المؤمن قلبه ومشاعره مهاجراً إلى المؤمنين ، فإذا هاجر إليهم ، وجد في ظلهم الحب والرحمة والإخاء ، وإذا هاجروا إليه نزلوا من قلبه ومشاعره منزلة الإعزاز والإكرام .**

**وبهذا يستطيع المؤمن أن يجمع بين الهجرة والنُّصرة ، فيكون من المهاجرين ، ويكون من الأنصار ... وذلك إنما يكون حين يفتح قلبه ، لكل مؤمن ، ويخلط مشاعره بكل مؤمن .. فإن كان فقيراً ، وجد لفقره عندهم غنى ، وإن كان ضعيفاً وجد لضعفه فيهم قوة .. وإن كان غنياً ، وجد فقيرُهم من غناه غنى ، وإن كان قوياً وجد ضعيفهم من قوته قوة .**

**فهذا هو المؤمن ، الذي يدخل مع المؤمنين الداخلين في قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ .** (١)

**ويجوز أن يكون قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو ...﴾ معطوفًا على قوله : ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ فيكون قوله : ﴿يَقُولُونَ﴾ حالاً من فاعل جاءوا .** (٢)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، ١ / ٨٦٢ وما بعدها .
(٢) شيخ زادة على تفسير البيضاوي ٤ / ٤٧٦ .

وهذه الصورة الثالثة النظيفة الرضية الواعية . وهي تبرز أهم ملامح التابعين . كما تبرز أخص خصائص الأمة المسلمة على الإطلاق في جميع الأوطان والأزمان .

هؤلاء الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار - ولم يكونوا قد جاءوا بعد عند نزول الآية في المدينة ، إنما كانوا قد جاءوا في علم الله وفي الحقيقة القائمة في هذا العلم المطلق من حدود الزمان والمكان - سمة نفوسهم أنها تتوجه إلى ربها في طلب المغفرة ، لا لذاتها ولكن كذلك لسلفها الذين سبقوا بالإيمان ، وفي طلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا على وجه الإطلاق ، ممن يربطهم معهم رباط الإيمان . مع الشعور برأفة الله ، ورحمته ، ودعائه بهذه الرحمة ، وتلك الرأفة : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ .

وتتجلى من وراء تلك النصوص طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود . تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها ، وآخرها بأولها ، في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف . وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب ، وتتفرد وحدها في القلوب ، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة ، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة ، كما يذكر أخاه الحي ، أو أشد ، في إعزاز وكرامة وحب . ويحسب السلف حساب الخلف . ويمضي الخلف على آثار السلف . صفاً واحداً وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان ، تحت راية الله تغذ السير صعداً إلى الأفق الكريم ، متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم .

إنها صورة باهرة ، تمثل حقيقة قائمة ، كما تمثل أرفع وأكرم مثال للبشرية يتصوره قلب كريم . صورة تبدو كرامتها ووضاءتها على أتمها حين تقرن مثلاً إلى صورة الحقد الذميم والهدم اللئيم التي تمثلها وتبشر بها الشيوعية في إنجيل كارل ماركس . صورة الحقد

**الذي ينغل في الصدور ، وينخر في الضمير ، على الطبقات ، وعلى أجيال البشرية السابقة ، وعلى أممها الحاضرة التي لا تعتنق الحقد الطبقي الذميم . وعلى الإيمان والمؤمنين من كل أمة وكل دين !**

**صورتان لا التقاء بينهما في لمحة ولا سمة ، ولا لمسة ولا ظل . صورة ترفع البشرية إلى أعلى مراقيها وصورة تهبط بها إلى أدنى دركاتها . صورة تمثل الأجيال من وراء الزمان والمكان والجنس والوطن والعشيرة والنسب متضامنة مترابطة متكافلة متوادة متعارفة صاعدة في طريقها إلى الله ، بريئة الصدور من الغل ، طاهرة القلوب من الحقد ، وصورة تمثل البشرية أعداء متناحرين يلقي بعضهم بعضاً بالحقد والدخل والدغل والغش والخداع والالتواء . حتى وهم في المعبد يقيمون الصلاة . فالصلاة ليست سوى أحبولة ، والدين كله ليس إلا فخاً ينصبه رأس المال للكادحين ! [1]**

**❁ قوله : ﴿جَآءُو﴾ .**

**المجيء : الإتيان . يقال : جاء يجيء جيئة [2] ، والاسم الجيئة [3] .**

**ويستعمل متعدياً بنفسه وبالباء فيقال : جئت شيئاً حسناً ، وجئت بزيد . [4]**

---

(١) في ظلال القرآن ٦ / ٣٥٢٧ .
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية مادة : جيأ ١ / ٤٢ ط دار العلم للملايين .
(٣) مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مادة : جيأ ١ / ٥٠ ط مكتبة لبنان .
(٤) المصباح المنير للفيومي مادة : جيأ ١ / ١١٦ ط المكتبة العلمية ببيروت .

❁ والمراد بـ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ : هم الذين هاجروا بعدُ حين قوي الإسلام إلى المدينة بعد مدة ، والمجيء حسي ، وهو المجيء إلى الإيمان . [١]

❁ وقال الجمهور : هم من يجيء من التابعين - ليس المراد به مصطلح المحدثين - وغيرهم إلى يوم القيامة [٢] ، فالمجيء إلى الوجود [٣] . فالآية استوعبت جميع المؤمنين الذين كانوا شركاء في الفيء ، كأنه قيل : هذا المال لرسول الله ﷺ وللأصناف الأربعة الفقراء من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم . [٤]

فالبعدية تشمل التابعين وأتباعهم إلى آخر الزمان . [٥]

وإنما صيغ ﴿جَآءُو﴾ بصيغة الماضي تغليباً لأن من العرب وغيرهم من أسلموا بعد الهجرة مثل غفارة ، ومُزينة ، وأسلم ، ومثل عبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي فكأنه قيل : الذين جاؤوا ويجيئون ، بدلالة لحن الخطاب . والمقصود من هذا : زيادة دفع إيهام أن يختص المهاجرون بما أفاء الله على رسوله ﷺ من أهل القرى كما اختصهم النبي ﷺ بفيء بني النضير . [٦]

❁ ونظير هذه الآية قوله ﷻ : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ٩ / ١٤٣ .
(٢) تفسير ابن عطية ١٤ / ٣٨٢ .
(٣) حاشية الشهاب ٩ / ١٤٣ .
(٤) حاشية زادة على تفسير البيضاوي ١٤ / ٣٨٢ .
(٥) حاشية الصاوي على الجلالين ٢ / ٤ / ١٦٢ .
(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٣ / ٢٨ / ٩٦ .

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [1]

**فالتابعون لهم بإحسان هم : المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة ، الداعون لهم في السر والعلانية .** [2]

**وقد شملت هذه الآية كل من يوجد من المسلمين أبد الدهر ، وعلى هذا جرى فهم عمر بن الخطاب ﷺ . روى الإمام البخاري من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : " قال عمر : لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها ( أي : الفاتحين ) كما قسم النبي ﷺ خيبر " .** [3]

**وروى الإمام ابن جرير الطبري أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾** [4] **ثم قال : هذه لهؤلاء . ثم قرأ : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾** [5] **ثم قال : هذه الآية لهؤلاء . ثم قرأ : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ..... ﴾** [6] **حتى بلغ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾** [7] **ثم قال : استوعبت هذه الآية المسلمين عامة**

---

(١) سورة التوبة آية ( ١٠٠ ) .
(٢) تفسير ابن كثير ٨ / ٩٦ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب المزارعة باب أوقاف النبي ﷺ وأرض الخراج ومزارعتهم ومعاملتهم ٢ / ٨٢٢ ح رقم ( ٢٢٠٩ ) ط دار ابن كثير .
(٤) سورة التوبة آية ( ٦٠ ) .
(٥) سورة الأنفال آية ( ٤١ ) .
(٦) سورة الحشر آية ( ٧ ) .
(٧) سورة الحشر آية ( ١٠ ) .

، فليس لأحدٍ إلا له فيها حق ، ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعي ، وهو يُسيّرُ حُمُرَه ، نصيبَه ، لم يعرق فيها جبينه . [١]

❁ قوله : ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ .

جملة ﴿يَقُولُونَ﴾ في موضع نصب حالاً من الضمير من فاعل ﴿جَآءُو﴾ ، على أحد وجوه الإعراب .

وعبر بالفعل المضارع في ﴿يَقُولُونَ﴾ لإفادة التجدد والاستمرار تصديقًا لإيمانهم بدعائهم لمن سبق لهم . [٢]

والجملة الحالية مسوقة لمحبتهم لمن سبق تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الأخوة في الدين والسبق بالإيمان كما أن ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الأنصار أي يدعون لهم ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ...﴾ . [٣]

قوله ﴿ٱغْفِرْ لَنَا﴾ : الغَفْرُ : الستر والتغطية ، ومنه المِغفر لأنه يستر الرأس ، ومنه قيل : اغفر ثوبك في الوعاء ، واصبغ ثوبك ، فإنه اغفر للوسخ . [٤]

وقدم الاستغفار لأنفسهم على الاستغفار لإخوانهم في الدين لأمور :

( ١ ) رجاء أن يغفر لهم فيكونوا بذلك أقرب إلى الإجابة في حق غيرهم . [١]

---

(١) تفسير ابن جرير ٢٣ / ٢٧٦ ط مؤسسة الرسالة .
(٢) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٢٣٣ .
(٣) تفسير أبي السعود ٥ / ٧٠٦ .
(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ، مادة : غفر ٣ / ٢٠٠ .

( ٢ ) وقيل : بدأوا بالدعاء لأنفسهم لأن النبي ﷺ قال : ﴿ ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ﴾ . [٢]

( ٣ ) وقيل : لأنهم متبعون لهم .

( ٤ ) وقيل : تعليم لهم لأن يدعوا لمن قبلهم ، ويذكروهم بخير . [٣]

( ٥ ) وقيل : بدأوا بأنفسهم ، وثنوا بمن كان السبب في إيمانهم فقالوا : ﴿وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ . [٤]

وقد دلت الآية على أن حقاً على المسلمين أن يذكروا سلفهم بخير ، وأن حقاً عليهم محبة المهاجرين والأنصار وتعظيمهم . [٥]

❁ قوله : ﴿وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ .

والمراد بالأخوة في الآية : أي في الدين الذي هو أعز وأشرف عندهم من النسب [٦] ، ولذا بينوا العلة بقولهم : ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ . [٧]

❁ قوله : ﴿ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي بالموت عليه فينبغي لكل واحد من القائلين لهذا القول أن يقصد بمن سبقه من انتقل قبله من

---

(١) حاشية زادة ٤ / ٤٧٦ .
(٢) تفسير المراغي ١٠ / ٤٥ .
(٣) حاشية الشهاب الخفاجي ٩ / ١٤٣ .
(٤) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٤٣ .
(٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣ / ٢٨ / ٩٧ .
(٦) تفسير أبي السعود ٥ / ٧٠٥ .
(٧) نظم الدرر للبقاعي ١٩ / ٤٤٣ .

زمنه إلى عصر النبي ﷺ فيدخل جميع من تقدمه من المسلمين لا خصوص المهاجرين والأنصار . [1]

❁ قوله : ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ .

الغُلَّة والغَليلُ ما يتدرعه الإنسان في داخله من العطش ومن شدة الوَجْد والغيظ ، يقال : فلان شفى غليله أي غيظه . [2]

والمراد بالغل في الآية : الحقد والحسد [3] ، حيث تغلي الصدور وتحترق القلوب بنار الحقد والعداوة .

والحقد والحسد هما رأس كل خطيئة ، وينبوع كل معصية ، فهما يوجبان سفك الدماء والبغي والظلم والسرقة وسائر أنواع الفجور . [4]

والتعبير بجعل الغل في القلوب ، إشارة إلى أن القلوب هي مستودع المشاعر ، من حبٍ و بغض ، ومن مودة أو جفاء .. وأن هذه المشاعر هي التي تتولد منها الأقوال والأفعال ، ولهذا كان على المرء أن يحرُس نفسه من هذه الوساوس والخواطر السيئة ولا يدع لها فرصة كي تتمكن منه ، وتستقر في وجدانه ، فإنها إن تمكنت منه ، واستقرت في كيانه ، كانت قوة عاملة في توجيه سلوكه وتشكيل أعماله . [5]

في قوله : ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ وجه بلاغي يعرف بوضع الظاهر موضع المضمر ، فكان مقتضى الظاهر أن يقول

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين ٢ / ٤ / ١٦٢ .
(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مادة : غل ٣ / ٣٦٣ .
(٣) تفسير القرطبي ٢٠ / ٣٧٥ .
(٤) تفسير المراغي ١٠ / ٤٥ .
(٥) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب ١٤ / ٨٦٤ .

**: ( ولا تجعل في قلوبنا غلاً لهم ) والسر في مجيء الكلام على خلاف الظاهر هو مدحهم بصفة الإيمان ، وبيان لمقتضى الأخوة . [١]**

**❁ وفي الآية دليل على وجوب محبة الصحابة ﷺ [٢] .**

**كما أنها تحث على الدعاء لهم ، وتصفية القلوب من بغض أحد منهم [٣] .**

**وفيها أيضاً إشارة إلى وجوب محبة من تقدمهم من المؤمنين ، ومراعاة حقوقهم لإخوانهم في الدين والسبق بالإيمان . [٤]**

**ومن كان في قلبه غل أو بغض لأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ولم يترحم على جميعهم فإنه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لأن الله ﷻ رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرون ثم من بعدهم الأنصار ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجاً من أقسام المؤمنين وليس له في المسلمين نصيب .**

**قال ابن أبي ليلى : الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوءوا الدار والإيمان والذين جاءوا من بعدهم ، فاجتهد أن لا تكون خارجاً من هذه الثلاث منازل . [٥]**

**أخرج ابن حبان بسنده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ ﴾ . [١]**

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي ٩ / ١٤٣ .
(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب ١٤ / ٨٦٤ .
(٣) تفسير المراغي ١٠ / ٤٦ .
(٤) تفسير الآلوسي ١٠ / ٢٨ / ٥٤ .
(٥) تفسير الخازن ٤ / ٢٤٩ .

❁ **قوله تعالى : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ : أي مبالغ في الرأفة والرحمة ، فحقيق بأن تجيب دعاءنا .**

❁ **السر في ختام الآية بهاتين الصفتين :**

**قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب : " وفي قوله ﷻ : ﴿إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ استدعاء لهاتين الصفتين الكريمتين من صفات الله ﷻ ، وهما الرأفة والرحمة ليستشعر بها المؤمن مشاعر الرأفة والرحمة [٢] بإخوانهم المؤمنين ، فيؤثرونهم ببعض ما عندهم من خير ، رأفة ورحمة بهم " .**

---

(١) صحيح ابن حبان ١٦ / ٢٣٨ ح رقم ( ٧٢٥٣ ) كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة ، باب فضل الصحابة والتابعين ﷺ ، وعلق عليه شعيب الأرناؤوط بقوله : إسناده صحيح رجاله ثقات ، رجال الشيخين غير موسى بن مروان . ط مؤسسة الرسالة بيروت .

(٢) التفسير القرآني للقرآن ١٤ / ٨٦٥ .

## الخاتمة

الحمد لله الذي أعان وأيد ، ووفق وسدد ، له الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحكم ، وأسأله الرضا والقبول ... ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الرسول ، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى البعث والنشور .

وبعد :

فهذه رشفة من بحار القرآن العظيم ، وقطرة من عطاء الله الكريم ، ولا أدَّعي الوصول إلى الكمال ، وإنما هذا ما بذلت فيه جهدي وبلغت به طاقتي ، وأسأل الله تعالى أن يكون أقرب إلى الصواب ... فالقرآن بحر زخار ، لا يُدرَكُ له قرار ...

وسورة الحشر ، قد ذكرت صفاتاً للصحابة رضوان الله عليهم وبينت أخص صفات المهاجرين والأنصار ، وبينت ما لهم من حقوق على من جاء بعدهم بالدعاء لهم وعدم الغل والحقد والحسد نحوهم ، وقد ظهر لي بعض النتائج منها :

أولاً : بلاغة القرآن الكريم وفصاحته في إيجازه ، حيث بينت السورة وتحدثت عن المهاجرين وكذا الأنصار ومن جاءوا بعدهم في ثلاث آيات .

ثانياً : تعزيز مكانة الصحابة ﷺ وبيان فضلهم ومنْزلتهم .

ثالثاً : التعرف على أخص صفات الصحابة من المهاجرين والأنصار ﷺ ، وتربية المجتمع المسلم على التخلق بهذه الصفات .

رابعاً : تعريف الأجيال المسلمة بمكانة الصحابة لتبقى على صلةٍ بالصدر الأول من حَمَلَةِ هذا الدين .

**خامساً : إبراز جهود الصحابة ﷺ في خدمة الإسلام والعلوم الشرعية والإنسانية .**

**سادساً : استشراف المبادئ والقيم الإنسانية التي أرساها محمد ﷺ في صحابته ﷺ وطبقوها في حياتهم ، حيث آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار وطبقوا أعلى مثلٍ للإيثار لدرجة أن يؤثر غيره بامرأته .**

**سابعاً : أن الآيات الكريمة - موضوع البحث - استوعبت جميع المسلمين من المهاجرين والأنصار وتابعيهم بإحسان إلى يوم القيامة .**

**هذا ، والحمد لله ، وله الفضل ، وأسأله جل شأنه أن ينفع به ، ويثيب عليه ، فإني اجتهدت والمجتهد مأجور على كل حال .**

**وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ... آمين**

# فهرس أهم المراجع

**أولاً** : القرآن الكريم .

**ثانياً** : كتب التفسير .


(١) إيجاز البيان في سور القرآن محمد علي الصابوني ط مكتبة الغزالي .
(٢) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ط دار الفكر .
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تأليف / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي تحقيق محمد علي النجار ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط دار سحنون .
(٥) التبيان في تفسير القرآن للطوسي ط دار إحياء التراث العربي .
(٦) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ط دار الفكر .
(٧) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنْزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبرهيم بن عمر المعروف بالخازن ط دار الكتب العلمية .
(٨) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ط دار إحياء الكتب العربية .
(٩) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ط دار الشعب .
(١٠) تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفى المراغي ط دار الفكر .
(١١) التفسير القرآني للقرآن تأليف / عبد الكريم الخطيب ط دار الفكر العربي .
(١٢) تفسير النسفي المسمى مدارك التنْزيل وحقائق التأويل تأليف الإمام عبد الله بن عبد أحمد النسفي بتصرف ط دار النفائس .
(١٣) تفسير المنار محمد رشيد رضا ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

.
(١٤) التفسير الوسيط د / محمد سيد طنطاوي ط دار السعادة .
(١٥) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير العلامة البيضاوي ط دار الكتب العلمية .
(١٦) حاشية الصاوي على الجلالين للشيخ أحمد الصاوي ط دار إحياء الكتب العربية .
(١٧) حاشية الطيبي على الكشاف المسماة فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي ط جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم .
(١٨) حاشية محي الدين زادة على تفسير القاضي البيضاوي ط دار إحياء التراث العربي .
(١٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ط دار الفكر .
(٢٠) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ط مؤسسة الرسالة .
(٢١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تأليف / أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ط دار القلم دمشق .
(٢٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الألوسي ط دار إحياء التراث العربي .
(٢٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ط دار الفكر .
(٢٤) سورة الفتح د / محمود بن الشريف ط دار المعارف .
(٢٥) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية تأليف سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ط دار المنار .
(٢٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني ط دار الفكر .
(٢٧) في ظلال القرآن للشيخ / سيد قطب ط دار الشروق .
(٢٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنْزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري وما بعدها ط دار الريان للتراث .
(٢٩) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ط دار الكتب العلمية .

(٣٠) مفاتيح الغيب للإمام الرازي ط دار الغد العربي .
(٣١) معاني القرآن وإعرابه تأليف / إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق الزجاج ط عالم الكتب .
(٣٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ط مكتبة ابن عباس . المكتبة العلمية .
(٣٣) الهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ط كلية الدراسات العليا والبحث العلمي جامعة الشارقة .

**ثالثاً** : كتب القراءات وعلوم القرآن .

(٣٤) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي المشهور بالبناء ط عبد الحميد أحمد حنفي .
(٣٥) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي تحقيق مركز الدراسات القرآنية ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
(٣٦) أسرار ترتيب القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي تحقيق عبد القادر أحمد عطا ط دار الاعتصام بالقاهرة .
(٣٧) إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء العكبري على هامش حاشية الجمل على الجلالين ط دار المنار .
(٣٨) الصحيح المسند من أسباب النُّزول تأليف / مقبل بن هادي الوادعي ط دار الأرقم .
(٣٩) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ط مؤسسة الرسالة - بيروت - .
(٤٠) مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ط دار إحياء الكتب العربية .
(٤١) الموسوعة القرآنية المتخصصة تأليف مجموعة من الأساتذة ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

**رابعاً** : كتب الحديث .

(٤٢)الأدب المفرد للإمام البخاري ط دار البشائر الإسلامية - بيروت .
(٤٣)دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة تأليف / أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق / عبد المعطي قلعجي ط دار الكتب العلمية بيروت .
(٤٤)سنن أبي داوود السجستاني ط وزارة الأوقاف المصرية .
(٤٥)سنن الترمذي المسمى الجامع الصحيح لمحمد بن عيسى بن أبي عيسى الترمذي السلمي ط دار إحياء التراث العربي .
(٤٦)شعب الإيمان تأليف / أبي بكر احمد بن الحسين البيهقي ط دار الكتب العلمية .
(٤٧)صحيح ابن حبان ط مؤسسة الرسالة بيروت .
(٤٨)صحيح البخاري ط مكتبة الرياض الحديثة .
(٤٩)صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ط دار الجيل .
(٥٠)فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ط دار الريان .
(٥١)مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق / شعيب الأرناؤوط وآخرون ط مؤسسة الرسالة .
(٥٢)المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم ط دار الكتب العلمية .
(٥٣)المعجم الأوسط للطبراني ط دار الحرمين .
(٥٤)المعجم الصغير للطبراني ط المكتب الإسلامي .

**خامساً** : كتب اللغة والمعاجم والغريب .

(٥٥)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تأليف / الإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ط دار العلم للملايين .
(٥٦)عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للشيخ أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ط عالم الكتب .

(٥٧)لسان العرب لابن منظور ط دار صادر بيروت .
(٥٨)مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ط مكتبة لبنان .
(٥٩)المصباح المنير تأليف / أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ط المكتبة العصرية .
(٦٠)معجم مقاييس اللغة لابن فارس ط دار الجيل بيروت .
(٦١)المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ط الأفست بشركة الإعلانات بالشرقية .
(٦٢)النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري . ط المكتبة العلمية - بيروت .

**سادساً** : كتب عامة .

(٦٣)تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر ط دار الكتب العلمية .
(٦٤)جمهرة الأمثال للعسكري تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطامش ط دار الفكر .
(٦٥)صور من البيان القرآني د / محمد جلال الذهبي ط الأمانة - القاهرة - .
(٦٦)الموافقات في أصول الفقه ، للإمام الشاطبي ط دار المعرفة - بيروت .

**سابعاً** : المجلات .

(٦٧)مجلة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، شهر رجب ١٤٢٩ هـ عدد ٥٠٦ .
(٦٨)مجلة منبر الإسلام بالقاهرة ، عدد رجب ١٣٩٤ هـ / يوليو ١٩٧٤ م .